رواية
الجزيرة
السوداء
د. محمود صلاح
ساحر الكتب

(الجزيرة السوداء)

اسم الكتاب: الجزيرة السوداء.
المؤلف: د./محمود صلاح.
الطبعة: الأولى.
مصمم الغلاف: محمد علي.
مراجعة لغوية: أ./ أحمد زكي.
الإخراج الفنى:أ./ أحمد زكي.
رقم الإيداع: 1545

د.محمود صلاح

الجزيرة السوداء

رواية

ساحة الأدب
للطبع والنشر والترجمة

(الموجة الأولى)
(الرحلة)

كل واحد فينا حياته كلها مجرد حدوتة أو حكاية..

حدوتة رومانسية من خلال قصة حب تعيش عليها حياتك..

حدوتة تعب وكفاح وشقى تنتهي بزواج وإنجاب..

وأنواع كتير من الحواديت هتلاقيها في الدنيا..

ولكن القدر أحيانا بيكون غير رحيم بيك..

لما تكون حكايتك أو الحدوتة الخاصة بيك

غريبة أو مرعبة وصعب الناس تصدقها..

وللأسف فالنوع الأخير دا ينطبق عليا أنا تماما..

أنا (عمار أبو المجد)..

ودي حكايتي..

** ** **

(القاهرة) 1989:

اللي يعيش في الصعيد صعب عليه جدا أنه يقدر يعيش في المدينة!

اللي قال الكلام دا أكيد كان واحد زي حالاتي كده..

واحد عاش حياته كلها في قرية صغيرة من قرى محافظة (أسيوط) اسمها (مسارة)، أكيد محدش سمع عنها!

كان قرار تعييني كمدرس تاريخ في (القاهرة) هو صدمة حقيقية بالنسبالي!

أنا كان كل أحلامي إني اخلص دراسة في كلية الآداب قسم تاريخ واشتغل مدرس هنا في قريتي وسط ناسي وأهلي بعيد عن الزحام وبعيد عن الناس.. أيوه متستغربش (بعيد عن الناس).. أنا مش من النوع اللي بيقبل التغييرات المفاجئة في حياته.. عشت طول عمري وسط مجموعة محددة مابين أصدقاء أو أفراد من أسرتنا، ومكنتش بكون صداقات جديدة..

أنا كده مبسوط وفرحان..

- أخينا.. أنت يا سيدنا، مش كفاية كتابة بقى ولا إيه!

اللي بينده عليا دا هو صديقي (ناصر فتحي) صديقي من الابتدائي.. مشكلة (ناصر) هي جسده النحيف ووزنه الذبابي. ومحدش كان بيصدق أن دا طالب معانا في الكلية. (ناصر) جاري في القرية، شاب محترم و على خلق وبالمناسبة هو كمان تم تعيينه معايا في نفس المدرسة في (القاهرة) بس هو تخصص جغرافيا.

مردتش عليه واكتفيت بابتسامة وكملت كتابة. أنا بكتب كل شيء بيحصلي وخصوصا لما يكون حدث مهم زي انتقالي من (أسيوط) إلى (القاهرة)!

يمكن ناس كتير تتمنى أنها تسيب القرى والأرياف وتعيش في (القاهرة).. والحقيقة أن دا كان حلم لطلاب كتير في الجامعة. بس أنا مكنتش منهم. أنا كنت أتمنى أني أكمل حياتي في القرية اللي اتولدت وعشت فيها..

حزنت جدا بسبب بكاء والدتي وهي بتحضني وتقولي:

- يابني خلي بالك من نفسك وكل كويس واوعاك متتصلش علينا تطمنا باستمرار.

أما أبويا الحاج (أبو المجد) فخدني في حضنه وهو بيقول:

- أنا ربيتك كويس وربنا عالم أني مقصرتش في ربياتك وتعليمك أنت واخواتك ووصلتك أنك تكون راجل محترم الناس بتقدره كدة..

وحأول أنه يداري دموعة وهو بيكمل كلامه:

- أنا خلصت حكايتي معاك يا ولدي، واللي جاي هيكون حكايتك أنت.. وأنت اللي هتخط كل كلمة فيها.. خلي حكايتك زينة يا ولدي وربنا يحفظك ويرعاك.

كنت بفتكر كل دا وأنا راكب القطار اللي متوجه بيا لـ(القاهرة) بصحبة صديقي (ناصر) اللي نايم حاليا، وفضلت كلمات أبويا تتردد في راسي طول الطريق..

- (خلي حكايتك زينة يا ولدي)

وصلنا (القاهرة) أخيرا. وكانت الكارثة بالنسبة لينا هي الزحام الرهيب في محطة (مصر).. كمية البشر غير طبيعية وكل الناس بتمشي بالقصور الذاتي، يعني أنت مرغم تمشي مع الكتل البشرية اللي بتتحرك في اتجاهات أنت نفسك مش قادر تحدد هتوصلك فين.. بالإضافة لشنط السفر العملاقة اللي شايلها فكان الموضوع فعلا كارثي.

أنا و(ناصر) في حالة ذهول واحنا بنتحرك وسط الأمواج البشرية، وفي النهاية - وبشكل ما- وصلنا لباب المحطة.

اتبادلنا النظرات وضحكنا..

البداية في (مصر) عظيمة.

ركبنا الأتوبيس اللي المفروض أنه هيوصلنا لمكتب العمل، هناخد جوابات التعيين ونتوجه للمكان اللي هنستقر فيه.

وبعد عناء رهيب قدرنا نوصل لمكتب العمل وحصلنا على جوابات التعيين..

كدة المهمة الأولى انتهت ومهمتنا الثانية هي أننا نروح للمكان اللي هنعيش فيه.

التعيين كان في مدرسة (الحكمة) في منطقة اسمها الجزيرة.

جزيرة بين البحرين أو كما يقال عنها (القرصاية)!

وصلنا لشارع اسمه شارع (البحر الاعظم)، ولما سألنا اكتشفنا أن المكان في البر التاني، وأنه طلع جزيرة حقيقية مش مجرد اسم بس!

انتظرنا المعدية وكانت عبارة عن مركب صغير جدا مهمته توصيل الناس من وإلى الجزيرة..

عم (عبدون) المراكبي بملامحه الطيبة السمراء وجسده النحيف هو اللي هيوصلنا للجزيرة..

وركبت معانا سيدة في الستينات من عمرها..

- أنتوا جايين عند مين في الجزيرة يا بهوات:

رد عليه (ناصر):

إحنا مدرسين يا حج وجالنا التعيين في المدرسة اللي في الجزيرة..

رد عليه عم (عبدون):

- آه تقصدوا مدرسة الحكمة، ماهو مافيش غيرها في الجزيرة يا بيه..

اتبادلنا النظرات أنا و(ناصر) ولكن اللي لفت انتباهي هو تركيز السيدة اللي معانا في المركب عليا..

كانت بتبص عليا بنظرات غريبة..

كنت حاسس أن الست دي بتكرهني!

أيوه بتكرهني بدون سبب كده.

قلت الكلام دا لـ(ناصر) واحنا في طريقنا للمدرسة..

- يا (عمار) متركزش، الست أول مرة تشوفنا واحنا من بلد وهي من بلد تانية، وأول مرة نقابلها هتكرهك ليه بس!
- صدقني يا (ناصر) أنا بحكيلك اللي حسيته.

الساعه دلوقتي خمسة المغرب..

شوارع الجزيرة الضيقة..

البيوت المبنية من الطوب اللبن إلا بعضا منها اللي تم بناؤه بالطوب الأحمر..

- واضح يا (عمار) أنك مش هتبعد كتير عن (أسيوط).. الجزيرة دي بمبانيها نسخة من البلد عندنا!

(ناصر) كان كلامه حقيقي.. إحنا فعلا في نسخة مصغرة من قريتنا، كنت مبسوط جدا من دا..

الناس بتبص علينا باستغراب شديد..

واضح جدا أن سكان الجزيرة عارفين بعض كويس..

والاكثر وضوحا هو أن غالبا مفيش حد غريب بيوصل المكان دا!

وصلنا للمدرسة أخيرا..

الباب الحديدي الأخضر..

وبدأنا نخبط على الباب!

- **يا أهل الله يا اللي هنا..**
  سلام عليكم..

واحد بيعدي من جنبنا وهو بيقول:

- **خبطوا الباب جامد شوية لأن عم (متولي) حارس المدرسةسمعه تقيل حبتين!**

وبالفعل دا اللي حصل..

وفي النهايه ظهر عم (متولي). الرجل الخمسيني القصير وهو يرتدي جلبابا أزرقا والعمة الفلاحي الطويلة..

بصلنا باستغراب وهو بيقول:

- **خير يا بهوات أي خدمة؟**

اجابه (ناصر) بابتسامه مصطنعة:

- **إحنا المدرسين الجداد وجواب التعيين جالنا هنا على المدرسة دي..**

نظر لنا (متولي) نظره متفحصة ثم ابتسم قائلا:

أهلا بيكم يا بهوات، اتفضلوا معايا عشان تروحوا السكن بتاعكم..

كان الإجهاد قد نال منا تماما.

وخلف المدرسةالمكونة من ثلاثة طوابق كان يقبع المنزل الصغير..

(متولي) يتقدمنا وهو يثرثر عن أن المكان مغلق من فترة وأن آخر من كان يقيم هنا كان الأستاذ (وجيه) وقد ترك الجزيرة وغادر منذ اكثر من سنة..

وبعد محاولات مضنية مع الباب الصدىء كنا قد دلفنا إلى الداخل بالفعل..

أشعل (متولي) الإضاءة لتتضح الملامح القاسية لمكان إقامتنا..

كان المكان - وبكل أسف - في حالة مزرية..

وقفنا لدقائق نتفقد المكان..

ثلاثة غرف واحدة منهم مغلقة بقفل حديدي؟!

عم (متولي) يقاطع جولتنا الممتعة:

- والله يا بهوات لو أعرف أن فيه مدرسين جداد جايين كنت وضبت البيت بس ملحوقة.. بكرة بأمر الله هنفضلكم البيت وهيبقي زي الفل ومتنسوش أن فيه قعدة فوق السطح بتشوف النيل كمان..

في النهايه لم نكن نمتلك رفاهية الاختيار!

التعب والإرهاق والحاجة إلى الطعام والنوم سوف تتغلب على أي شيء..

- أنتوا أكيد مكلتوش حاجة!

وقبل أن نجيبه كان الرجل يغادر قائلا:

- (أم ياسين) عاملة شوية سمك إنما إيه عسل هحضرلكم لقمة لحد ما تغيروا وتاخدوا نفسكم من الطريق..

وقفت في صالة المنزل وأنا أنظر لـ(ناصر):

- ياتري كل واحد فينا هيبات في أوضة ولا هنبيت مع بعض؟

ابتسم (ناصر) قائلا:

- أنت عارف إني بشخر وأنا نايم فالأفضل أن كل واحد ينام في أوضة..

وبالفعل اختار كل منا غرفة..

وبعد نصف ساعه تعالت طرقات عم (متولي) على باب المنزل..

- **اتفضلوا يا بهوات حاجة كده على قدنا معلش..**

كانت رائحة الطعام شهيه بشكل عظيم..

صينية من المعدن بها سمك بلطي وأرز وسلطة خضراء

- **تسلم إيدك يا حج (متولي) وتسلم إيد الست (أم ياسين)..**

قالها (ناصر) وهو يجلس على الأرض بجوار الصينية..

- **طيب متجيب (ياسين) وتيجي ناكل لقمة مع بعض يا عم (متولي) وأهو يبقي عيش وملح..**

ضحك عم (متولي) وهو يبرز أسنانه الصفراء:

- **ألف هنا يا بيه، إحنا كلنا الحمد لله. أسيبكم أنا وشويه وهجيلكم تكونوا خلصتوا أكل..**

بعد نصف ساعه حضر (متولي) مرة أخرى وهو يحمل أكواب الشاي بالنعناع قائلا:

- دا شاي مخصوص على الحطب، والنعناع دا أنا اللي زارعه.. اتفضلوا.

تناولنا الشاي وقد تملك منا الإرهاق تماما..

- يلا أسيبكم أنا يا بهوات وهصحيكم قبل الصلاة عشان نصلي الجمعة مع بعض.

وبعد أن شكرنا عم (متولي) على الطعام الشهي تركنا وانصرف..

وكذلك فعلنا أنا و(ناصر) كل منا ذهب إلى غرفته..

وبعد دقائق كان صوت أنفاس (ناصر) يصدح عليا في المكان!

** ** **

الرابعة صباحا:

كنت أشعر بالعطش بشكل فظيع..

استيقظت وأنا أتحسس طريقي..

ما الذي حدث أين الإضاءة؟

الظلام يحيط بي من كل جانب..

أتحسس الجدار على أمل أن أصل إلى مقباس الكهرباء

وهنا تجمدت في مكاني تماما..

فقد شعرت بأن هناك من وضع يده فوق يدي!

شعرت بذلك لوهلة وانتفضت في عنف وأنا أشاهد باب الغرفة الثالثة وهو يفتح على مصراعيه..

ومن داخل الغرفة كانت تخرج ألوأن حمراء غريبة..

توجهت ناحية الغرفة لكي يتضح لي كل شيء..

ففي منتصف الغرفة كان يقبع صندوق خشبي عملاق يخرج منه ذلك الضوء الأحمر..

ومن الضوء الأحمر كانت الثعابين تتراقص!

ثعابين مختلفة الأحجام ولكنها تشترك في شيء واحد:

أن رؤوسها جميعا كانت روؤسا بشرية!

صرخت وأنا أتراجع للخلف والثعابين تخرج من الصندوق وتتقدم نحوي والرؤوس تمد ألسنتها المشقوقة وهي تضحك!

وقبل أن يلتهمني أول ثعبان كانت الهزات العنيفه لـ(ناصر) تنتزعني من ذلك الكابوس!

- **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ناولني (ناصر) كوبا من المياه وهو يقول بتوتر:

- فيه إيه يا بني أنا صحيت على صوتك وأنت بتتخانق وعرفت أنك بتحلم فقلت لازم أصحيك..

ابتلعت لعابي في صعوبة وأنا اجلس على حافة السرير قائلا:

- كابوس فظيع يا (ناصر).. كابوس فظيع وأنا بطبعي مش بيجيلي كوابيس..

ضحك (ناصر) كعادته وهو يقول:

- يا سيدي أكلة السمك كانت تقيلة بس، واحنا كلنا ونمنا على طول وأنت عارف أن الأكل وبعدها النوم على طول بيجيب كوابيس..

نظرت له وتركته وخرجت للصالة..

كنت اقف أمام الغرفة المغلقة..

نظرت لـ(ناصر) قائلا:

- عارف يا (ناصر)، الكابوس اللي كنت عايش فيه من شوية، كان سببه الغرفة دي..

هز (ناصر) رأسه بسخرية ولكني كنت اتحدث بمنتهي الجدية..

- أقسم بالله يا (ناصر) أني شوفت الغرفة دي في الحلم اللي كنت بحلم بيه من شوية..

شعر (ناصر) بعصبيتي فربت على كتفي قائلا:

- طيب بس اهدى شوية، أنا مصدقك يا (عمار) أنت متوتر بس بسبب الكابوس.. نام وارتاح وأن شاء الله بكرا هتبقي زي الفل..

وتركني وذهب إلى غرفته..

ولكن تفاصيل الكابوس كانت تلهتهم عقلي تماما!

وقبل أن أخلد إلى النوم ظل عقلي يحاول الإجابة على سؤال واحد:

- ترى ما هو سر تلك الغرفة المغلقة؟ ولماذا كانت هي السبب في الكابوس الذي مررت به؟

** ** **

في العاشره والنصف صباحا كنا نتناول الفول والطعمية مع عم (متولي) الذي قام بإيقاظنا..

لنتناول الفطور سويا ومعه ابنه (ياسين) ذو العشر سنوات ويدرس بالطبع في نفس المدرسةالتي نتواجد بها.

وبعد أن تناولنا الفطور ذهبنا لصلاة الجمعة وسط نظرات أهل الجزيرة

هناك شيء غريب في اهل تلك الجزيرة!

لا أعلم ماهيته حتى الآن ولكن هناك شيء غير طبيعي فيهم

ربما هي نظراتهم أو همساتهم الغريبة وهم ينظرون الينا وكأننا قد هبطنا بمكوك فضاء منذ لحظات!

كنت أشعر في قرارة نفسي أن هناك شيء غير طبيعي في أهل الجزيرة ويوما بعد يوم كنت اتأكد من صحة إحساسي!

لقد مر علينا أسبوع منذ أن وصلنا الجزيرة وتسلمنا وظائفنا

وبدأت معالم الجزيرة وعادات اهلها تتضح بالنسبة لي ولـ(ناصر)

الشيء اللافت للنظر كان الحالة الغريبة لأطفال الجزيرة..

كان الأطفال شاحبين بشكل غريب!

بالإضافه إلى أن أغلب الأطفال ينامون أثناء الحصص الدراسية!

ناهيك عن كل ذلك فنسب الذكاء بين الأطفال كارثية!

أغلبهم في الصف الرابع والخامس الابتدائي لا يجيد القراءة أو الكتابة، فكيف لي أن أقوم بتدريس التاريخ لمثل هؤلاء الأطفال!

في تلك الليله كنت أقوم بتدوين تلك الملاحظات في دفتري كالعادة، حينما دخل (ناصر) وهو يحمل أكواب الشاي

فسألته وأنا أعتدل في جلستي:

- **بقولك يا (ناصر)، أنت مش حاسس أن الأطفال في الجزيرة دي مختلفين شويه؟**

مط (ناصر) شفتيه قائلا:

- **والله يا (عمار) أنا فعلا حسيت دا، ولكن قلت يمكن بسبب الطبيعة المنغلقة لأهل القرية أو أن أغلب الأسر بيشتغلوا وبيشغلوا ولادهم معاهم في الزراعة هنا؛ فالأطفال مش بتلاقي وقت تذاكر !**
قولي يا (عمار) أنت بتفكر فايه؟

والحقيقة أني لم أستطع أن أجيب (ناصر) بإجابة مقنعة واكتفيت بأن قلت له أنها مجرد أفكار غير مرتبة عن حالة أطفال الجزيرة بشكل عام، وربما يكون كلامه صحيحا!

هنا شعرت أن (ناصر) يخفي شيئا ما..

نظراته كانت توحي بأنه كان على وشك البوح بشيء ما ولكنه تراجع..

سألتة بشكل مباشر:

- **مالك يا (ناصر) في إيه يابني؟ متتكلم..**
- **مش عارف يا (عمار) بس امبارح باليل أنا.. أنا..**
- **متتكلم يا (ناصر) في إيه..**
- **أنا باليل سمعت صوت حد بينده عليا!**

قاطعته بنفاذ صبر :

- **أيوة بينده عليك منين يعني!**

أجابني وهو ينظر للغرفة المغلقة:

- **من الغرفة دي يا (عمار)! والله سمعت صوت حد بينده عليا.. والصوت اللي كان بينده عليا كان صوت مألوف بالنسبالي جدا.. ولما ركزت شويه افتكرت**

أنه صوت بنت خالي (سحر)اللي توفت في الحريق اللي حصل في بلدنا من خمس سنين!
كانت بتنده عليا يا (عمار)! صدقني بتنده عليا وبتقولي كلام غريب..

سألته باهتمام:

- الصوت كان بيقولك إيه يا(ناصر)؟

ظهر عليه الارتباك وهو يتناول كوب الماء ويتناول منه رشفات ثم يقول:

- كانت بتقولي اليوم قرب أوي. وأن الموجه عالية والكل هتصيبه النار !
أنا افتكرت نفسي بحلم بس صدقني أنا كنت صاحي وصوتها كان واضح بالنسبالي جدا!
فضلت تكرر الكلمات اللي قولتهالك دي وبعدها كل شيء انتهي..
أنا مكنتش عاوز أحكيلك لاني مش عاوز أصدق أن دا حصل فعلا بس مقدرتش.. وفي النهايه قلت لازم أحكيلك لأني مش بخبي شيء عليك..

ربت على كتفه وأنا أبتسم قائلا:

- يابني أنت اخويا ومفيش شيء بينا يستخبي سواء كان حلو أو وحش..

تركته ووقفت بجوار النافذة وأنا أحاول أن أقوم بترتيب الأحداث بشكل منطقي!

وأضيف عليها كلمات عم (متولي) عن الغرفة المغلقة

وأن مفتاح القفل ضايع من يوم ما اتقفلت..

وأن آخر حد سكن فيها كان مدرسا من الأسكندرية وهي مغلقه منذ أن تركها..

ولكن كلمات عم (متولي) المقتضبة عن أمر الغرفة وما يحكيه (ناصر) يؤكدان أن هناك شيء غامض بخصوص الغرفة..

وشئنا أم أبينا يجب أن نقوم بفتحها ونعلم ما سر تلك الغرفة..

ولكن كيف؟!

ومتي؟!

ذلك ما يجب أن نتفق عليه!

** ** **

بعد ثلاثة أيام وبعد نهاية اليوم الدراسي جلست أنا و(ناصر) نتناول الشاي أمام المنزل..

- **بقولك إيه يا (ناصر)، أنا لقيت شاكوش والنهاردة بالليل هكسر باب الأوضة المقفولة دي..**

شعرت بتوتر (ناصر) وهو يبتلع لعابة بصوت مسموع قائلا:

- **مبلاش يا (عمار).. أنا مش شايف أن فيه داعي نفتح الغرفة دي..**

حدقت به قائلا :

- **يابني أنا وأنت حاسين أن فيه شيء غريب في الغرفة دي ومش هيحصل أي مشكله لو فتحناها وعرفنا بالظبط إيه اللي فيها!**

وأكملت كلامي وأنا أنظر في عيني (ناصر) قائلا:

- **مش يمكن يكون فيها قتيل ولا حاجة!**

وضحكنا سويا..

في المساء طلبت من (متولي) الغفير أن يبتاع لنا بعض الأشياء من البر التاني..

وذلك هو الوقت الملائم لفتح الغرفة.. وقفت بجوار (ناصر) قائلا:

- على بركة الله..

وهويت على القفل الحديدي بالشاكوش..

مرة ومرة ومرة..

كان القفل الحديدي يأبى بشدة أن يستسلم لضرباتي،

ولكن في النهاية تخلى عن عناده..

- بسم الله الرحمن الرحيم

قلتها وأنا أخطو داخل الغرفة، وبجواري كان (ناصر) يرتعد فعليا..

حاولت أن أبحث عن قابس الإضاءة ووجدته بالفعل ولكن لم تعمل الإضاءة داخل المكان..

خرج (ناصر) وأحضر (الكلوب) أو كشاف الجاز وأشعله وأنا اقف على باب الغرفة بانتظاره..

وتسمرنا في اماكننا

فما كنا نشاهده كان أمرا غريبا..

للغاية..

جدران الغرفة كانت ممتلئة بكتابات بلون أحمر..

وكذلك رسم بخط يدوي لما يشبة الخرائط!

وقفنا في حالة ذهول مما نشاهده..

- إيه الجنان دا؟

قلتها وأنا أقترب من الحائط محاولا فهم ما هو مكتوب؟

ولكني لم أستطع أن أدرك ماهيته!

المكتوب كان يشبة الألغاز ..

فمثلا تجد أن المكتوب من بداية الحائط يحكي عن مواضع الليل والنهار ..

وأيام الشك..؟

وأيام اليقين الروحي..

وتوافق الأيام الصحيحة مع حركة النجوم والكواكب..

ثم رسم بخط اليد لمواضع الكواكب ولكن المكتوب على الكواكب هو لغة غريبة!

ومن أسفل شكل الكواكب تنطلق عدة أسهم تشير إلى مكان ما.

وحينما دققت النظر في بعض الكلمات بلغة عربية كانت المفاجأة..

فكل الأسهم الهابطة من الكواكب كانت تشير إلى كلمة واضحة..

(الأرض السوداء)!

ثم بجوارها مكتوب:

(الجزيرة السوداء)!

أي عبث هذا..

وماهي الجزيرة السوداء التي يتحدث عنها صاحب هذه الرسومات الغريبة!

لم أستطع أن أكمل باقي المكتوب على الحوائط، فقد كان (ناصر) يربت على كتفي قائلا:

- **بص الورق دا كلة والملفات دي؟**

جلست على أرضية الغرفة وأنا أتأمل عددا من الصفحات باللغة الانجليزية معنونة تحت اسم أبحاث دكتور (إدوارد ستيف هيرنيل) عن حقيقة الاختفاءات الغامضة وعلاقة ذلك ببعض النقاط اللينة على سطح الكرة الأرضية!

تركت هذه المجموعة من الأوراق وتناولت ذلك الكتاب الكبير بغلافة البراق..

وأول سطوره كانت:

** ** **

(وجيه المحمدي)..

أول يوم في الجزيرة:

ها قد حضرت إلى الجزيرة التي تحدث عنها أجدادي..

يبدو أن كل ما قيل عن هذه الجزيرة هو حقيقي، بل لأكون أكثر دقة فهو كارثي!

أول تجاربي كانت عن طريق البوصلة وحدث ما لم أكن اتخيله؛ فمؤشر البوصلة يتحرك في جنون وكأنه عاجز عن إيجاد الشمال الحقيقي.

بل إن الأمر الأكثر غرابة هو أن في بعض الساعات يحدث انحراف للبوصلة بشكل لا يصدق!

فيكون الشمال الحقيقي هو ما يشير إليه السهم على أنه الجنوب والعكس!

سوف أواصل في إجراء تجاربي ولكن يبدو أن كل ما قيل عن هذا المكان هو حقيقي.

** ** **

هنا توقفت عن القراءة وأنا أنظر لـ(ناصر) الذي كان يقرأ هو الآخر عددا من الأوراق التي وجدها أسفل الفراش الصغير الموجود في ركن الغرفة الأيسر!

- **(ناصر)، تعالَ نقفل الأوضة دلوقتي لأن (متولي) على وصول وشوية وهنبقي نرجع تاني..**

ولكنه لم يجبني؛ فقد كان يحدق في شيء معدني بين يديه!

اقتربت منه وأنا أكرر كلامي:

- **قوم يا ابني خلينا نخرج من هنا قبل (متولي) ما يطب علينا..**

نظر لي (ناصر) وهو في حالة من الذهول قائل:

- **اللي كان في الغرفة دي أكيد كان ساحر أو حد مجنون..**

اندهشت من كلمة (ساحر) التي نطق بها؛ فسألته:

- **أنت ليه بتقول كده؟**

أجابني وهو يلوح لي بميدالية معدنية ضخمة قائلا:

- لأن الميدالية دي كانت ملفوفة في جلد!

ثم أكمل في رعب.

- جلد بشري!

هنا أمسكت بيده وخرجنا من الغرفة ونحن نعيد القفل في مكانه مرة أخرى..

خرجنا من المنزل بأكمله ونحن غير مصدقين لما رأيناه منذ لحظات..

انتبهت في هذه اللحظة أن (ناصر) مازال ممسكا بتلك الميدالية الغريبة بين يديه..

أخذتها منه بعنف قائلا:

- يا سيدي شيل الزفتة دي من إيدك الله يكرمك لحد ما نفهم بالظبط إيه اللي شفناه دا!

كان عقلي في حالة غليان حقيقي من هول ما رأيته في تلك الغرفة..

ما العلاقة بين كل ما قرأته وبين ذلك المدرس المدعو

(وجيه المحمدي)؟

ما السر الحقيقي لتواجد ذلك الرجل؟

أين اختفى!

ولماذ كان يقوم برسم تلك الأشياء والخرائط على الحوائط!

ماهي تلك الأبحاث المهمة التي كان يجريها؟ وهل لها علاقة باختفائه؟

الأمر برمته محير للغاية ومبهم إلى أقصى حد..

كل شيء رأيته داخل الغرفة كان يحمل في طياته ألغازا لا حصر لها..

ولكن الشيء المؤكد أو النتيجة المؤكدة التي توصلت إليها أن هناك شيء غامض وغير طبيعي في تلك الجزيرة وأهلها! وازداد يقيني بصحة إحساسي بعد ما قرأته منذ دقائق..

هنا كان (متولي) قد حضر إلينا حاملا الأشياء التي طلبناها منه..

وقف أمامنا مبتسما لثوان معدودة بعدها لاحظ حالة الشرود الغريبة التي نمر بها.. فسأل (ناصر) قائلا:

- **هو في إيه يا سي الأستاذ (ناصر).. مالكم كده كأنكم شوفتوا عفريت..**

ثم ضحك في بلاهة وهو يكمل:

- **يا بهوات لو في حاجة عرفوني بس وأنا أحرقلكم العفريت واللي جابوه كمان..**

تناولت باقي النقود من (متولي) وأخبرته أن كل شيء على ما يرام..

و على الرغم من قناعتي أن (متولي) قد شعر بشيء ما ولكنه تركنا وذهب لمنزله..

وكذلك فعلنا أنا و(ناصر)..

جلسنا على تلك الأريكة ونحن مازالنا تحت وطأة الصدمة مما شاهدناه..

وفي تلك اللحظة أخرجت الميدالية التي حصل عليها (ناصر) من الغرفة..

كانت الميدالية غريبة الشكل!

فص زجاجي عملاق بداخله سائل يميل لونه إلى الأحمر

وفي أسفل الفص الزجاجي يتواجد معدن أعتقد أنه الفضة يغلف الجانب السفلي تماما.. وعليه تتواجد كتابات بلغة غريبة!

كنت أتأملها وأحاول أن أقرأ أي شيء، ولكن كانت المهمة شبة مستحيلة..

هي لغة لا أعلم عنها شيئا رغم دراستي للتاريـخ!

تركت الميدالية بجواري وتأملت (ناصر) الذي ينظر إلى جانب الغرفة بشكل غريب..

- مالك يا بني في إيه؟

قلتها له ولكنه لم يعيرني انتباهه..

- يا (ناصر) قوم اعملنا قهوة بقى..

ولم يجبني (ناصر)!

ولكن بعد ثوان تحرك ليقف في منتصف الغرفة تماما وتحت المصباح الكهربائي..

رفع رأسه للأ على وفتح فمه، وفي نفس اللحظة وقبل أن أتحرك من مكاني كان يحدث أمامي شيء غريب للغاية!

فباب الغرفة التي قمنا بكسرها منذ قليل كان يتحرك في هدوء ليصدر صريرا مرعبا!

ومعه كان القفل المعدني يسقط على الأرض..

وكأن هناك من يقوم بفتح الباب في هدوء شديد!

كنت أنقل نظراتي بين (ناصر) وبين باب الغرفة..

(ناصر) كان يهتز في حركة نمطية غريبة وهو مازال متشنجا ورأسه للأ على وهو فاغر فمه..

وباب الغرفة يتحرك بهدوء وصوت الصرير يزداد..

لم أستطع أن أتحرك من مكاني وأنا أشاهد تلك الأشياء المفزعه التي تحدث أمامي!

لكن (ناصر) هو من حرك رأسه ونظر لي وفمه مفتوح على مصراعيه..

وتجمد الدم في عروقي من نظراته..

وأمام عيني وبشكل لا يمكن تصديقه كان السواد في عيني (ناصر) يتحرك جانبا لتصبح عيناه بيضاوين تماما!

ولم ينبس أحدنا ببنت شفة!

حتي صرير باب الغرفة توقف هو الآخر وكانه يشاهد معي ما يحدث!

ما الذي يجب أن أقوم به!

لأول مرة في حياتي أجد نفسي بهذا العجز!

لأول مرة أجد نفسي في تلك الحالة من الخوف وعدم التصديق!

ما يحدث أمامي يتنافي مع قواعد العقل والمنطق!

(ناصر) متجمد تماما وهو يحدق في فاغرا فمه بدون أن يتحرك قيد أنملة!

وانا أحاول أن اقدم على أي خطوة للخروج من هذا الموقف!

ولكن (ناصر) هو من سبقني..

فقد تراجع للخلف وهو مازال محدقا بي..

وظل يتراجع حتى ارتطم جسده بالحائط!

وبدأ يهتز في مكانه، ثم - وبشكل مفاجيء - بدأت رأسه ترتطم بالجدار في عنف!

ولم أتمالك نفسي وتوجهت إليه راكضا وأنا أستعيذ بالله،

ولكنه لطمني في صدري لطمة هائلة ورأسه تنزف بغزارة،

وقبل أن أتحرك من مكاني كان باب الغرفة يغلق في قوة

وإضاءة المكان تهتز للحظات..

وبعدها سقط (ناصر) على الأرض فاقدا للوعي و غارقا في دمائه!

** ** **

بعد محاولات مضنية نجحت في أن أقوم بإفاقة (ناصر)..

كان الشاب يرتعد ويتحدث بكلمات غير مفهومة!

حاولت تهدئته بقدر ما استطعت، وفي النهاية بدأ (ناصر) يستعيد رشده مرة أخرى..

هنا كان لابد أن أسأله عما حدث وعن تلك الحالة الغريبة التي مر بها من قليل..

وكانت المفاجأة أن (ناصر) أجابني إجابة مقتضبة للغاية قائلا:

- أنا مش فاكر أي شيء، بس اللي متأكد منه أني كنت حاسس أني مش موجود على الأرض، وأن فيه شيء تاني أو شخص تاني هو اللي بيتحكم في جسدي وانفعالاتي وحركاتي..
كنت حاسس كأني في غيبوبة أو في مكان تاني بعيد عن جسدي المادي الطبيعي.

ثم أكمل وهو يغادرني متجها إلى غرفته:

- **أنا حاسس أني مرهق جدا ومحتاج أنام..**

وبالفعل خلال دقائق كان يغط في نوم عميق!

أما أنا فقد كان قراري هو أن أقوم بفتح الغرفة المغلقة مرة أخرى!

وأن اصل إلى الحقيقة.

بالفعل دخلت إلى الغرفة على ضوء (الكلوب)

ومع دخولي الغرفة شعرت بتيار من الهواء البارد!

من أين يأتي ونافذة الغرفة مغلقة تماما؟

كانت أولى اهتماماتي هو قراءة يوميات ساكن هذه الغرفة السابق..

المدعو (وجيه المحمدي)!

** ** **

الأسطر التالية هي تفريـغ لبعض المحتوى الذي وجدته في يوميات (وجيه المحمدي):

يبدو أن كل ما يقال عن تلك الجزيرة حقيقي؛ فبعد الجنون الذي يصيب البوصلة وتغيير الاتجاهات بشكل لا يصدق؛

فقد قررت أن أحاول إيجاد نمط حقيقي أو علمي لحالة البوصلة وهو ما توصلت إليه بعد أن راقبتها لعدة أيام..

فمن الواضح أن المتغيرات التي تحدث في الجزيرة وتؤدي إلى الاختلال تكون على أربع مراحل قمت بتحديدها بعناية

من خلال النظام التربيعي الكوكبي..

ساعات حدوث الاختلال..

الساعه الثانية عشر صباحا..

الساعة الثالثة وعشرون دقيقة مساء..

الساعه التاسعة وأربعون دقيقة مساء..

الساعة الثانية صباحا والمدة الأخيرة هي الأكثر امتدادا للخلل؛ فهي تستمر لأربعين دقيقة كاملة!

أما باقي أوقات الخلل تستمر لمدة سبع دقائق فقط!

ملاحظة هامة : يبدو تماما تأثير الاختلاجات الزمنية على اهل الجزيرة!

من حيث حالة الشحوب البادية عليهم وخاصة على أطفالهم..

بالإضافة إلى حالات العصبية المفرطة التي تنتاب اغلبهم بشكل مفاجيء..

** ** **

الليلة العاشرة:

حدث شيء غريب اليوم؛ فقد وجدت أجزاء بشرية مشوهة بجوار منزل عمدة القرية!

وبالطبع وصلت لي الأخبار من خلال (متولي) حارس المدرسة..

تم التكتم على الحادثة تماما، ولكن كان لابد أن أقوم بتدوين تلك الملاحظة.

الليلة الحادية عشر:

نعم هي الليلة الحادية عشر لي في هذه الجزيرة!

الاختلال الزمني بدأ يؤثر في شخصيا وبدأ يوثر على نشاطي وأوقات نومي واستيقاظي..

الليلة السابقة خلدت للنوم لمدة عشرين ساعة متواصلة واستيقظت لأجد أن حقيقة ما مر على هو خمس ساعات فقط!

من الواضح أن التشوهات الزمنية التي تحدث هنا تخرج عن النمط المألوف

** ** **

الليلة الثانية عشر :

الأمر يتكرر بمتوالية زمنية متسارعة للغاية..

التشوهات تتلاحق ولا أعلم إلى متى سوف يستمر ذلك !

يجب أن اضيف أني بدأت اضع يدي على حقيقة ما يحدث هنا، وخصوصا تحديد مكان صنع التشوه الزمني وسببه..

كل المؤشرات تتجه إلى مكان يطلق عليه اسم (قصر الباشا)..

لقد بدأت أشعر بالإرهاق من تدوين يومياتي بهذا الشكل البدائي الممل..

وكم كنت أتمنى أن يكون بجواري الآن (الكوالم) الخاص بي لكي أستطيع أن أقوم بتخزين أفكاري وكتاباتي عليه بشكل تلقائي، ولكن..

للأسف فقد دُمر تماما أثناء القفزه إلى هذا الزمن الغابر وهذه الجزيرة!

** ** **

الليلة الخامسة عشر :

تعرضت اليوم لنزف شديد من الأنف وهو ما يحدث معي لأول مرة منذ قمت بالقفزه الزمنية..

حاولت السيطرة على ذلك النزف وقد نجحت في ذلك باستخدام المخزون المتوفر لدي من الأدوية.

الاقتران القادم تبقى عليه عشرة أيام، وهي الفترة المتاحة لي حتى أستطيع أن أقوم بالقفزه الزمنية القادمة.

** ** **

الليلة السادسة عشر :

أهل الجزيرة يتحدثون عن كميات هائلة من السمك النافق وجدت على اطراف الجزيرة!

وكيف أن كل أهل الجزيرة قد اعتقدوا أنها هبة إلهية؟ وخير قادم؟!

والحقيقة أنهم لا يعلمون أن هذا السمك النافق هو دلالة مؤكدة على اختلال الزمان والمكان في تلك الجزيرة..

ويوما ما سوف يصيب أهل الجزيرة نفس ما أصاب الأسماك!

** ** **

الليلة السابعة عشر :

(أمينة)..

تلك الفتاه التقيت بها اليوم ولأول مرة أشعر بهذا الانجذاب العاطفي ناحية شخص من هذا الزمن..

الفتاة رقيقة إلى أبعد حد!

لقد التقيت بها خلسة اليوم بعد المدرسة بجوار النيل..

لو كان بيدي الأمر لأخذتها معي لأنقذها من ويلات ما هو قادم!

تبادلنا الحديث حول أمور كثيرة، وما يهمني أن أذكره أن الفتاة لديها إحساس مميز أن هناك أمر غامض يحدث في الجزيرة.. الفتاه تتمتع بوعي متقدم عن باقي اهل الجزيرة وربما تكون هي الوحيده القادره على استيعاب الحقيقة!

** ** **

الليلة السابعة عشر :

لم أستطع أن أمنع نفسي من الانبهار بهذه الفتاة، فمع كل ساعه أقضيها برفقتها أكتشف مقدارا هائلا من الوعي النفسي والعقلي..

كما أنها فاتنة بحق!

أحاول جاهدا أن أقوم بتجنيب شهواتي حتى لا توثر على مهمتي في هذا الزمن..

لقد تعرضت اليوم للنزف مرة أخرى..

أشعر بوهن شديد..

الصداع لا يفارقني.

لقد شارفت على الإغماء أثناء أخذ بعض العينات من التربة!

الجميع في القرية يحترمون الطبيب الذي يعالج أبناءهم، والبعض الآخر ينظر لي بريبة وخوف ويلجأ إلى مشايخ الجزيرة ورجل دجال، في حالة تعرضهم لأي مرض.

أعتقد أني لن أقوم بتمثيل دور الطبيب مرة أخرى، ففي القفزة الزمنية التالية سوف أكون مدرس علوم، وهو أمر أكثر راحة من التعرض لهذا الكم الهائل من الضغط النفسي والعصبي!

** ** **

الليلة الثامنة عشر:

لقد حدث ما كنت أخشاه..

لقد أقمت علاقة مع (أمينة)!

حاولت أن أمنع ذلك..

ولكن في النهاية فقد حدثت بيننا علاقة جنسية كاملة!

أنا أعلم تماما أن حدوث ذلك سوف يؤدي إلى كارثة مستقبلا، ولكنني بالفعل لم أستطع أن أسيطر على مشاعري وأحاسيسي ناحية تلك الفتاة..

لقد حدث ما حدث!

وبعد نهاية علاقتي معها كانت تبكي بحرقة وتتحدث عن العار وأن اهلها سوف يقومون بقتلها لو اكتشفوا حقيقة ما حدث..

وهو أمر مؤكد الحدوث!

حتما!

ففي هذا الزمن وقبل دخول الزوج على زوجتة تتعرض الفتاة لما يطلق عليه (الدخلة الشعبية(أو (الدخلة البلدي)!

ويتباهى اهل العروس بأن ابنتهم شريفة مقابل نقاط الدماء التي يقومون بعرضها على كل أهل الجزيرة..

في النهاية لقد وعدت (أمينة) أني سوف أساعدها، وهو ما يجب أن أقوم به..

لقد أخطأت و على أن أتحمل نتيجة أخطائي!

** ** **

الليلة التاسعة عشر:

استيقظت اليوم على صراخ من كل حدب وصوب

وكأن أهل الجزيرة قد أصابهم الجنون!

وحينما خرجت لكي أفهم سبب هذا الصراخ الهستيري كانت المفاجأه هي ظهور خيالات وأطياف بشرية في أرجاء الجزيرة!

وفي نفس الوقت فقد ظهرت في السماء شمسان وليست شمس واحدة.. ولك أن تتخيل الصدمة التي واجهها اهل الجزيرة مع تلك الظاهرة..

دجال الجزيرة المدعو (سلطان عبد المولى) كان يصرخ في الجميع ويؤكد لهم أن هذا هو اجتياح من ملوك الجن للجزيرة ويجب أن يقوم بعمل أحجبة لأهل القرية لحمياتهم..

وأن الجزيرة أصبحت مرصودة!

بالطبع كان الأمر بالنسبة لي مختلفا، فقد كنت على يقين من أن التشوهات الزمنية هي المسئولة عن ما يحدث ولكنني آثرت الصمت..

وقد قمت بتدوين خطي العرض والطول المسئولان عن هذا التشوه المفاجيء!

خط طول زمني 55/14 وخط عرض مكاني 6/44..

الحقيقة التي يجب أن أذكرها أن الامر لم يكن متوقعا له أن يحدث بهذا الشكل المفاجيء..

حتى حينما درست كل شيء قبل القيام بهذه المهمة لم يشر أحد إلى حدوث مثل هذه التشوهات الزمنية والمكانية بهذه الكيفية المفاجئة..

بعد سبع ساعات انتهي التشوه الزمني..

وعاد كل شيء إلى طبيعته مرة أخرى.

الآن يمكنني أن أؤكد أني قد توصلت إلى منشأ كل التشوهات الزمنية والمكانية التي تصدر من هذه الجزيرة..

وهو كما أكدت سابقا مكان يطلق عليه (أرض الباشا) أو(قصر الباشا)!

** ** **

الليلة العشرون:

أشعر بوهن شديد..

النزف يزداد حدة بكل أسف..

سوف أحاول جاهدا أن اتخلص منه.

** ** **

الليلة الحادية والعشرون:

(أمينة) حضرت لي وهي متخفية حتى لا يتعرف أحد عليها وهي في حالة من الرعب من انكشاف أمرها في المنزل..

سوف أحاول جاهدا أن أتخلص منها!

لقد أعطيت لها موعدا الليلة في العاشرة مساء، وسوف أتخلص منها بهدوء.. تبقت لدي جرعة من مادة (الزاميوم) وهي قادرة على إفقادها الوعي ثم الوفاة..

وسوف ألقي بها في المياه، وبعد سويعات سوف أقوم بإصلاح خطأي!

الحقيقة أني أشعر بالحزن من إقدامي على مثل هذا الفعل الإجرامي، ولكنني على قناعة تامة أن تواجدها على قيد الحياة بعد العلاقة التي حدثت بيننا قادر تماما على تغيير حدود الدائرة الزمنية التي أنتقل فيها!

بل وربما بتواجدها سوف يتشوه الزمن بشكل كارثي.

سوف أجنب مشاعري وحبي لهذه الفتاه جانبا.

فحياة الملايين تتوقف على نجاح المهمة الموكلة الي.

** ** **

الليلة الثانية والعشرون:

لقد فعلتها..

لا أعلم كيف امتلكت هذا الكم الهائل من القسوة ولكنني تخلصت من (أمينة)!

لقد تخليت عن جزء كبير من أدميتي..

في مقابل تصحيح خطأي..

وكذلك للحفاظ على المهمة من الفشل.

وداعا (أمينة)..

سامحيني!

** ** **

الليلة الثالثة والعشرون:

هناك شيء غير طبيعي يحدث في الجزيرة!

الأجهزة التي أحملها تشير بجنون إلى أن هناك حدث جلل قادم..

ربما يجب على أن أخذ حذري!

** ** **

الليلة الرابعة والعشرون:

حدث ما توقعته!

هناك موجة زمنية هائلة في الطريق للجزيرة..

والمعلومة المؤكدة هي أن هناك من يعبث بها، بل وبالخط الزمني بأكمله!

لقد قررت أن أقوم بتنفيذ القفزه الزمنية قبل موعدها..

وربما أفعل ذلك اليوم!

سوف أتخفى لمدة يومين في الزمن الجديد..

وأتمنى أن ينجح ما أقوم به، خصوصا مع حالة الوهن الشديد التي أمر بها..

وهذا اخر ما سوف أقوم بكتابته قبل القيام بالقفزة الزمنية!

(وجيه المحمدي)

سنة 1955

** ** **

- عمار أنت بتعمل إيه؟

انتزعني (ناصر) انتزاعا مما كنت أقرؤه.. حتى أن المفكرة وقعت من يدي على الأرض!

و(ناصر) يكمل:

- إيه اللي أنت قريته يا (عمار)؟ عرفني..

نظرت له وأنا - بكل صدق - لا أعرف كيف سوف أجيبه..

هل أحكي له عن مذكرات شخص قادم من المستقبل؟!

هل سوف يصدقني ويصدق ما هو مكتوب في يوميات ذلك الرجل المدعو (وجيه المحمدي)؟

قاطعني مرة أخرى بإصرار وهو يتناول مذكرات الرجل ويبدأ فيها، أخذتها منه مرة أخرى قائلا:

- انا هحكيلك اللي قريته يا (ناصر) بس صدقني أنا نفسي مش قادر أصدق اللي مكتوب دا حقيقي ولا مجرد رواية!

وبالفعل قمت بسرد كل شيء لـ(ناصر) وهو يتابع كل كلماتي باهتمام شديد..

وبعد أن انتهيت سألته:

- ما رأيك يا (ناصر)؟ هل أنت مقتنع بأن هذه المذكرات بالفعل تخص رجلا في الماضي كان يمتلك القدرة على التنقل بين الأزمنة؟

(ناصر) يفرك يديه ببعضهما في عصبية ثم يتمتم بكلمات غريبة..

وفي النهاية ترجل من مكانه واقفا وهو يقول:

- أنا حاسس من ساعة مادخلت الجزيرة دي أن في شيء غلط!..
وأن اللي فيها مجانين أصلا!
أنا حاسس!

كان يدور في الغرفة بعصبية وهو يقول:

- أنا بقول كفاية علينا كده ونسيب المكان دا ونطلب نقلنا بلدنا تاني.. تعالي نمشي من هنا يا (عمار)
صدقني أنا حاسس أن اللي بيحصل دا مجرد بداية وأن لسه اللي جاي هيكون سيء..
سيء جدا!
ياريت تثق في كلامي وتعالى نلم هدومنا ونمشي من هنا!
يلا يا صاحبي بالله عليك..

كان يقول ذلك وقد ازداد توترا بشكل غريب، قاطعته قائلا:

- اهدى بس يا (ناصر)..
اهدى وخلينا نفهم اللي بيحصل..
أنا كمان حاسس أن فيه شيء غريب في الجزيرة بس جوايا إحساس إننا نقدر نفهمه..

قاطعني بصوت مرتفع وهو يقول:

- نفهم إيه يا(عمار)؟
نفهم إيه من مكان مجنون زي اللي احنا فيه دة؟!
وهنستفيد إيه حتى لو فهمنا!

هنا كان دوري لمقاطعته:

- لأ هنستفيد يا (ناصر)..
هنستفيد أننا نفهم أن وجودنا هنا في المكان دا أكيد لحكمة ربنا وحده اللي عالم بيها..
ويمكن يا أخي فهمنا دا يكون هو سبب وجودنا في الدنيا من الأساس!

هز (ناصر) رأسه بغضب قائلا:

- بلاش أحلام الله يكرمك، وبلاش تتقمص دور البطل الشجاع القادم لحل الألغاز وإنقاذ أهل المدينة من الكارثة..
واضح أن الكلام اللي أنت قريته بتاع الأخ المجنون دا اللي اسمه (وجيه) أثر فيك..
أنت مصدق أن فعلا فيه واحد بيتنقل عبر الزمن؟
دا خيال علمي..
وواضح أن (وجيه) دا كان مخبول أو كان سكران وهو بيكتب الكلام دا، فمستحيل هقدر أصدق أنه حقيقي..

ثم اعتدل ناحيتي وهو يكمل:

- وأقولك يا سيدي طب تخيل أن كلامه حقيقي وأنه فعلا بيتنقل عبر الزمن وأنه جاي من كوكب تاني كمان إيه رأيك بقي..
تعتقد إحنا إيه اللي نقدر نعمله؟

ومع نهاية كلماتة خيم علينا الصمت..

فما قاله (ناصر) هو كلام مقنع للغاية!

حتى ولو افترضنا أن ما هو مكتوب في تلك اليوميات لهذا المسافر عبر الزمن حقيقي..

ما الذي يمكننا القيام به؟

وبرغم كل ذلك فقد كان بداخلي ذلك النداء الغريب أن لي دور هام في كل ما حدث ويحدث..

قناعاتي وحدسي يخبراني أني هنا لشيء يفوق كوني مدرسا قادما من الأرياف ليعلم بعض التلاميذ البلهاء..

واستجبت لهذا النداء وأنا أذهب مرة أخرى إلى الغرفة،

وحينما نظرت إلى (ناصر) وجدته يهز رأسه باستغراب بل وربما بعدم التصديق..

وتحرك خلفي وهو يقول:

- **خلينا ورا كلام المجانين لما نشوف هنوصل لفين.**

ودخلت الغرفة للمرة الثانية ولكن..

هذه المرة لم أكمل قراءة يوميات (وجيه) وانما بدأت أتفحص بعناية باقي الأشياء الموجوده في الغرفة..

- **بقولك يا (ناصر)، من فضلك متحركش أي شيء من مكانه وخلينا نفحص كل شيء بهدوء..**

ابتسم (ناصر) وهو يعقب على كلماتي بسخرية قائلا:

- **تمام يا فندم!**

وانهمكت في محاولة فهم الخرائط المتواجدة على الحوائط حتى أني قد بدأت أقوم بتدوين ملاحظات عن حقيقة تلك الخرائط الغريبة..

كنت أقوم بكتابة ملاحظاتي وأنا في حالة ذهول من كم التفاصيل المكتوبة بعناية، حتي وصلت إلى جانب من الحائط يوجد بجواره فراش صغير ..

وحتى أتمكن من قراءة باقي التفاصيل كان على أن أقوم بتحريك الفراش..

وهو ما فعلته بهدوء شديد بمساعده (ناصر)!

وصرخ (ناصر) صرخة مكتومة بمجرد أن قمنا بازاحة الفراش؛ فبجوار الفراش كان هناك..

هيكل عظمي ممدد على الأرض!

** ** **

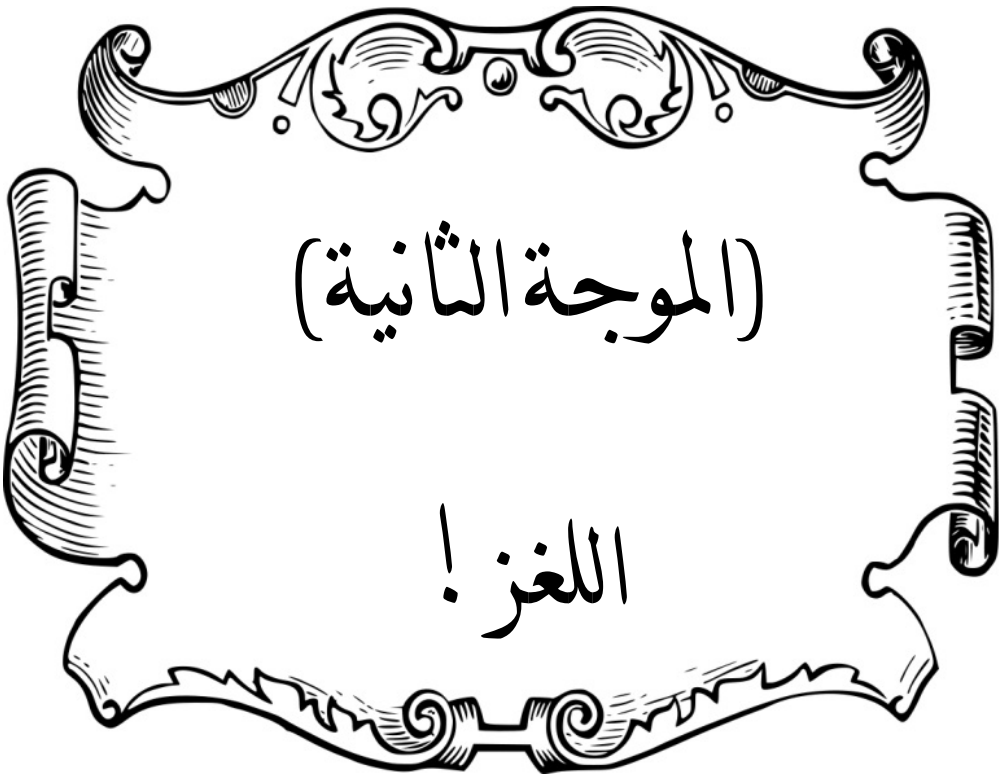
(الموجة الثانية)
اللغز !

جئت..

لا أعلم من أين..

ولكني أتيت..

جئت لا أعلم من أين..

ولكني أتيت!

لم اكن يوما قادرا على حفظ أغانٍ كاملة..

حاولت أن أكمل المتبقي من الأغنية الشهيرة للعندليب ولكني لم أستطع ذلك!

طوال حياتي لم أستطع يوما أن أقوم بحفظ أي شيء بشكل كامل..

ربما عقلي - بكل ما مررت به في حياتي الغريبة - قد فقد بعضا من خصائصه الطبيعية!

ذلك هو التفسير الأقرب للواقع.

أعتقد أني ألتمس العذر لخلايا عقلي التي تحملت الكثير والكثير ..

فصاحب هذا المخ المدعو (نادر زهران) بكل ما مر به من مواقف جهنمية وغريبة قد استهلك الجزء الأكبر من إمكانيات عقله..

بكل الكوارث التي مررت بها..

وبكل الأشياء التي لا تصدق..

وبكل من وما قابلتهم من كائنات بشرية أو غير بشرية..

وبكم المخطوطات التي مازلت احتفظ بها داخل ثنايا عقلي..

أعتقد أني سعيد الحظ كوني مازلت على قيد الحياة..(*)

كنت جالس على كورنيش النيل بمنطقتي الغالية (شبرا) وأنا اتأمل شكل مياه النيل.

لقد قضيت أكثر أيام حياتي رعبا في هذه المنطقة!

لقد رأيت أهوالا يعجز العقل البشري عن تخيلها في هذا المكان..

ولكن، ورغم كل شيء فأنا أحن إلى التواجد هنا..

(*)للمزيد يمكنك قراءة:

(الملعون - الكتاب الأعمى - الحظرد)، وكالعادة متوفرين إلكترونيا!

أشعر أن راحتي الحقيقية هنا في هذا المكان..

كنت أبتسم وأنا أتذكر الأيام المرعبة التي قضيتها بصحبة أصدقائي..

الأيام المرعبة التي تركت في أثرا لم ولن ينمحي طالما حييت..

وهذا الأثر مازال ممتدا حتى الآن!

فلم يعد بمقدوري أن اخلد إلى النوم قبل شروق الشمس.

نعم..

لا يمكن أن أغفو إلا وقت أيقنت فيه أن الشمس قد ظهرت وبدأت الحياة تستقر وتمتليء بالبشر..

سواء الذاهبين إلى أعمالهم..

أو الطلبة الذاهبون إلى مدارسهم..

أصوات بائعي الفول والبليلة والخضروات حينما تصدح عالية..

يكون ذلك بمثابة الإذن لعقلي أن كل شيء مستقر ويمكنني أن أخلد إلى النوم..

نعم..

أنا أصبحت شخصا غير طبيعي..

ولا يمكن أن تلومني على كوني وصلت إلى تلك الحالة الغريبة..

بل أني أحمد الله إلى كوني مازلت على قيد الحياة من الأساس!

كنت أجلس وأشاهد مياه النيل التي بدأت الشمس تلقي بضوئها عليها..

وحيدا كعادتي..

مختلفا كعادتي..

ولكن هو القدر يا عزيزي..

هو ما جعل مني ذلك الشخص الغريب المتشكك..

كنت أسير على الكورنيش بهدوء وأنا أشعر بالراحة الرائعة لبزوغ الشمس..

لن يكون هناك كائن غامض الليلة يحاول التخلص مني..

لن يظهر أمامي شيطان مطالبا برأسي جزاء ما فعلته بعشيرته!

لن ينتهي العالم على يدي اليوم!

فالشمس قادمة يا عزيزي وأنا أشعر بالسعادة لذلك..

هل هناك من يهمس باسمي في هدوء؟

هذا الصوت الرتيب الغامض القادم من قلب المياه..

- (نااااادر) . .

(نااااااادر) . .

أهز رأسي وأحاول أن أتلاشى كل ذلك..

هي مجرد أوهام..

مجرد أوهام ينسجها عقلي المرهق..

ورغم كل شيء فالصوت يتسلل إلى أذني بوضوح..

- تعالَيا (نادر) . .

تعالَيا (نادر) ومتخافش . .

انزل المياه وساعدني إني أطلع . .

الصوت يتردد عاليا:

- تعالَ أنقذني أرجوك !

ثم يتبعه ضحكات شيطانية..

وكلمات متناثرة:

- مش مهم . .

متنزلش النهاردة . .

بس مسيرك هتنزل . .

ومسيرك هتبقى بين إيدينا . .

هل أنا أهذي؟

أم أني بالفعل أسمع تلك الأصوات القادمة من مكان ما في المياه!؟

منطقيا وعقليا مستحيل أن يصدر صوت من قلب المياه!

ولكن ربما هناك شيء جالس أسفل تلك الأشجار؟

مددت رأسي على حافة سور الكورنيش لأتأكد بنفسي

حينما شعرت بتلك اليد توضع على كتفي!

انتفضت في رعب وأنا اتراجع إلى الخلف صارخا، لأجد ذلك الرجل الطاعن في السن الذي يتكيء على عكاز خشبي يبتسم لي قائلا:

- **مالك يابني، عاوز تنتحر ولا إيه؟**
  أنا كنت بصلي الفجر وأنا طالع لقيتك واقف وكأنك عاوز ترمي نفسك في المياه فقلت أجيلك..

ابتسمت للرجل قائلا:

- **تسلم يا حج، أنا ولا عاوز أنتحر ولا شيء.. أنا بس كنت سامع حد بينده عليا فقلت أشوف مين..**

هز الرجل رأسة وهو يقول:

- **مفيش حد تحت يابني..**
  انت بس اللي بيتهيألك!

قاطعته بعصبية قائلا:

- **والله يا حج كان فيه حد بينده عليا..**

أنا سامعه بنفسي

ابتسم الرجل بهدوء غريب قائلا:

- حتي ولو كان كلامك حقيقي وأن فيه حد بينده عليك يابني ..
مش شرط نلبي النداء لكل حد بينده علينا..
صدقني يابني..
أحيانا النداء بيكون خير أو شر، بس الأكيد أن اللي هينده عليك في وقت زي دا ومن مكان زي دا اكيد شر!
حكم عقلك يابني..
وربنا يحميك ويحفظك!

شكرت الرجل وتركته وذهبت بعيدا وأنا أحاول أن أتوارى عن نظراته لي!

الرجل يعتقد أني مجنون!

ولكنني واثق أني قد سمعت النداء!

أكملت مسيرتي على الكورنيش لنصف ساعة أخرى ثم أخذت طريقي للمنزل..

بالطبع حصلت على بعض شطائر الفول من عم (حكيم)

- عم (حكيم) بلاش شطة بالله عليك!
عم (حكيم).. بلاش شطة بالله عليك..
ياااا عم (حكيم) بلاااااااااش شطة بالله عليك!

لقد كررتها كثيرا للرجل ولكن - وبكل أسف - حينما وصلت للمنزل وبدأت تناول الشطائر أدركت أن قوي الشر وعم (حكيم) تعاونوا سويا للقضاء على!

فمقدار الشطة في الشطائر كان كفيلا بإصابتي بالتهاب معدي بعد أول شطيرة!

شكرا يا عم (حكيم)!

** ** **

في العاشرة مساء كنت قد استيقظت..

وقبل أن أغادر الفراش كان الهاتف يعلن بوضوح أن هناك شيء كارثي في الطريق!

نعم.. ولم لا وكل المكالمات التي تردني في الحقيقة هي عبارة عن أخبار وفيات أفرادمن العائلة أو أحدهم يجري عملية جراحية وفي حاجة إلى نقل دماء بشكل عاجل!

هذا الهاتف هو الأساس في جزء كبير من الكوارث بالنسبة لي!

- آلو!
- أيوه يا (نادر) أخبارك إيه..
- مين معايا؟
- يا سيدي فوق كده بالله عليك وركز معايا.. أنا المقدم (باسم الحمامصي) يابني!

هنا بدأت أستعيد تركيزي شيئا فشيئا..

المقدم (باسم) صديق وجار لي ويعمل في جهاز الشرطة

ربما لم نلتقِ منذ فترة ولكنه صديق عزيز..

(لنا بعض المغامرات الجحيمية سويا ولكنها لم تنشر بعد)

- معاك يا حبيبي اتفضل..
- تعالَ دلوقتي يا (نادر) أنا في القسم..

دقات قلبي تتسارع..

لم يسبق لي أن التقيت بصديقي في قسم الشرطة من قبل!

- اصحى وفوق كده وهتلاقي البوكس واقف تحت البيت عندك!

هنا صرخت فيه:

- باعتلي البوكس لحد البيت! أرجوك خليه يمشي وأنا هلبس وأجيلك قسم الساحل.

ضحك المقدم (باسم) قائلا:

- متقلقش أنا بهزر معاك، أنا عارف انك مش ناقص مصايب بعد كل اللي بيحصلك فأكيد مش هبعتلك عربية الشرطة!
أنا في انتظارك هنشرب قهوة مع بعض..
سلام!

ثم أغلق المكالمة!

بشكل ما بدأت أشعر أن هناك مصيبة قادمة بعيدا عن كون الهاتف سببا أكيدا في ذلك، ولكني أشعر في صوت (باسم) بشيء غريب..

حسنا، لا داعي للاستعجال.. كل شيء سوف يتضح بعد قليل!

ارتديت ملابسي على عجل، وبعد نصف ساعة كنت في مكتب المقدم (باسم)..

- أهلا أهلا يا عم (نادر).. عاش من شافك، تشرب إيه؟

وقبل أن أجيب كان قد طلب لي فنجانا من القهوة!

هنا سألته وأنا أشعر باضطراب من حقيقة تواجدي بقسم الشرطة من الأساس:

- **خير يارب، طمني ياريس عليك و على المدام والأولاد..**

أجابني وهو يشعل لفافة تبغ:

- **كل شيء زي الفل..**

ثم سألني بهدوء:

- **طمني على أخبارك أنت..**

أجبتة وأنا أحاول أن أخفي مدي توتري:

- **الحمد لله ماشي الحال..**

قاطعني بابتسامة:

- **وأخبار عفاريتك إيه؟**
- **بيسلموا عليك يا ريس وبيسألوك إيه السبب اللي خلاك تبعتلي النهارده؟**

بدأت الجدية ترتسم على وجهه وهو يعتدل في جلسته قائلا:

- طبعا أنت عارف يا (نادر) بسبب طبيعة شغلنا بنقابل ناس كتير..
وبنسمع حكايات ومواضيع اغلبها بنقدر نفهمه بسهولة..

هنا بدأ انتباهي يزداد مع كلمات المقدم (باسم) وهو يكمل:

- في بعض الأحيان وأنت عارف وعشت دا معايا بنواجه بعض الموضوعات أو الحوادث اللي تفسيرها بيكون خارج نطاق عملنا.. وأظن أنت فاكر كويس أنك شاركت معايا في عدد من الحوادث والظواهر الغريبة اللي تفسيرها فعليا بيكون خارج نطاق عملنا.
وأنا بعتلك النهاردة لأن فعلا صورتك هي أول صورة ظهرت في خيالي بمجرد ماسمعت اللي حصل..

لم أقاطعه وإنما اكتفيت بأن هززت رأسي بشيء من التفاخر.. ولم لا وأنا الرجل الذي يقوم بحل ألغاز الجن والعفاريت، وها هي الشرطه تلجأ لي لحل مسألة من تلك النوعية!

حتى هو شعر بلحظات التفاخر التي أمر بها فابتسم قائلا:

- بلاش تحسسني أنك (شيرلوك هولمز)!

مجملا محدش هيكون عارف أنك موجود في المحضر دا..
يعني أنت موجود بصفة ودية..

هنا سألته:

- وإيه هي القضية دي بقي؟

أخرج ملفا لونه أصفر ووضعه أمامي وهو يقول:

- الموضوع ظاهريا هو مجرد مشاجرة بين راجل وزوجته.. ولكن الحقيقة غير كده..
- طب أقرأ اللي في المحضر ولا أركز معاك أفضل؟

أجابني (باسم) وهو يخرج بعض الأوراق من درج مكتبه:

- لا أنا هحكيلك بس خلي الملف دا قدامك دلوقت..

دخل علينا العسكري حاملا القهوة، وبعد أن شكرته انصرف وأغلق الباب خلفه..

- شوف يا (نادر) من خمس ساعات جاتلنا اخبارية أن فيه راجل مراته هشمت رأسه بحديدة..

ابتسمت في قرارة نفسي وأنا على يقين أن رأس الرجل بل وروؤس كل الرجال وجدت من الأساس لتهشمها النساء

باسم يكمل:

- **وبالفعل خدنا طريقنا للقبض على السيدة..**
وكانت المفاجأة أننا كنا أمام سيدة في منتهى الاحترام والتهذيب بشكل مبالغ فيه..
كانت السيدة في حالة انهيار تام ومش مصدقة أنها اتسببت في مقتل زوجها!
الشيء الغريب واللي فعلا مش لاقي ليه تفسير منطقي أن هذه السيده كانت بتنكر تماما أن الراجل دا زوجها من الأساس!
وكانت بتقسم أنها مخطوفة من سنين وكلام كتير أنا نفسي مش قادر أفهمه..
كلامها غير مرتب ومش واضح وأغلبه مش مفهوم!

هنا وقبل أن يكمل (باسم) كانت هناك طرقات متسارعة على باب الغرفة..

حضر العسكري وهو يؤدي التحية العسكرية أمام (باسم) قائلا:

- **معالي الباشا، فيه واحد بيقول أنه أخو المجني عليه وطالب يقابل حضرتك ضروري وبيقول أنه عنده معلومات مهمة..**

هنا أشار (باسم) للعسكري أن يقوم بإدخال شقيق المجني عليه..

دخل علينا الرجل في حالة من الانهيار وهو يبكي بحرقة على مقتل شقيقه.. حاول (باسم) أن يقوم بتهدئته، وكنت أنا أشاهد كل شيء بدون أن أتدخل، وكنت أتفحص الرجل القصير الممتليء أصلع الرأس الذي يبكي ويتمخض في منديل قماشي عملاق!

في النهاية بدأ الرجل يتحدث:

- باشا أنا (سليمان سعيد الحبشي) الأخ الأكبر للمرحوم (خليل) اللي اتقتل النهاردة، وأنا عندي شهاده حق عاوز أقولها..

بدا الاهتمام على ملامح (باسم) وهو يطلب من الرجل أن يكمل كلامه:

- الست اللي قتلت أخويا دي يا باشا ممسوسة! آه والله صدقني..

(باسم) يعض بأسنانه على شفتيه بغيظ والرجل يكمل:

- الحكاية بتاعتها غريبة يا باشا لو تحب أحكيها أنا تحت أمرك..

هنا نظر لي (باسم)؛ فأشرت له بإيمائة أن يدع الرجل ليفرغ ما في جعبته!

وبالفعل انطلق الرجل يحكي..

لنصف ساعة كاملة لم يقاطعة أحد حتى انتهى من كل شيء..

وترك المكتب مغادرا!

وضع (باسم) رأسه بين راحتيه وهو يشعل لفافة تبغ ويطلب لنا فنجانين من القهوة!

ثم نظر لي قائلا :

- رأيك إيه يا خبير؟
- قبل أن أجيبك يا صديقي أنا لازم أقابل السيدة دي.. أعتقد قبل ما أقدر أكون فكرة واضحة لازم أقابلها وأسمع منها بالظبط حكايتها، ووقتها نحدد بالظبط الحقيقة فين من كلامها وكلام شقيق زوجها القتيل!
- ماشي.. يا عسكري، هات الست اللي في الحجز..

سأله العسكري:

- أي ست ياباشا؟
- اللي لسه جاية بتاعة جريمة القتل يابني..

- أوامرك يا باشا..

وبعد دقائق كنت أتطلع إلى سيدة في بداية الخمسينات من عمرها.. متوسطة الطول ولكنها بارعة الجمال!

أعلم أن ليس هذا هو الوقت المناسب لكي أقوم بذكر هذه الملحوظة، ولكن بالفعل السيدة رائعة الجمال بشعرها الذهبي المتهدل أسفل الحجاب الذي ترتديه، وبشرتها البيضاء..

السيدة - وبحق - تخطف الأنظار!

أي مجنون ذلك الذي يصدق أن هذا الملاك قد قام بتهشيم رأس إنسان منذ سويعات؟

هذا ملاك غير قادر على لي ذراع ذبابة من الأساس!

- (نادر)..

قالها لي (باسم) حتى استعيد تركيزي وأشيح بوجهي بعيدا عن هذه السيدة ذات الملامح الملائكية..

- اتفضلي يا ستي اقعدي هنا..

جلست السيدة بهدوء شديد..

(باسم) ينظر لي محاولا إخفاء ابتسامته ثم ينظر إلى السيدة قائلا:

- اتفضلي يا ستي احكي اللي حصل بالظبط من الأول، وحابب أعرف كل التفاصيل..

أجابتة السيدة بصوت خفيض:

- أنا حكيت كل شيء ليك يا باشا..

قاطعها (باسم) قائلا:

- معلش هتحكيه كمان مرة عشان نفهم أكتر ونستوعب اللي حصل..

تأرجحت نظراتها بيني وبين (باسم) ثم بدأت الحديث:

- الحقيقة ياباشا أن الراجل دا مش جوزي أساسا ولا أنا فاكرة اتجوزته إمتى ولا حتى خلفت منه ازاي!
أنا كنت عايشة حياتي العادية زي أي ست جوزها بيشتغل صياد سمك..
اللي ربنا بيكرمنا بيه بنعيش بيه وبنربي عيالنا..
بس طول حياتي معاه وأنا حاسة بشيء غلط..
حاسة أن فيه شيء مش صح..
شيء مش في مكانه الطبيعي..

كنت باقول يمكن مشاغل الحياة ومشاكل الولاد والمسؤليات هي السبب في كل دا، ولكن أنا فعلا كنت دائما عندي إحساس أني في مكان غلط ومع ناس غلط..

قاطعها (باسم) متسائلا:

- يعني إيه مكان غلط وناس غلط ممكن توضحي؟

هزت رأسها وهي تكمل:

- يعني كنت دائما باحلم أني عايشة في مكان غير اللي إحنا عايشين فيه حاليا..
كنت باحلم بمكان شبه الجزيرة وأن ليا أب وأم واخوات..
الحلم دا كان بيتكرر معايا باستمرار، ولما حاولت أفهم جوزي الأحلام اللي بشوفها كان بيقول أنها تخاريف وأني معمولي عمل أو محسوده عشان حلوة، والجيران بيكرهوني بسبب جمالي!
طبعا أنا مكنتش مصدقة كل كلامه ولا موضوع أني محسودة دة من الأساس..
وكمان غير الأحلام أنا كنت حاسة أن فيه جزء من حياتي مفقود وناقص..

يعني أنا مش فاكرة أنا درست فين؟
ولا إمتى..
ولما كنت بسأل جوزي كان بيقولي إني درست دبلوم صنايع وأن بعد ما درسته بفترة أبويا وأمي اتوفوا مع بعض في حريق كبير للبيت اللي كنا عايشين فيه وأن دا سبب أني فقدت الذاكرة.
حتي اسمي (سميرة) اللي كان هو وباقي الناس بتناديني بيه مكنتش حاسة أنه اسمي..
كنت عايشة والأحلام دي مسيطرة عليا وبتزيد يوم عن يوم..
جابولي مشايخ كتير ..
ودجالين أكتر..
ولكن للأسف كل كلامهم مكنش مقنع بالنسبالي!
كنت متأكده أن فيه فترة طويلة من حياتي مفقودة!
فتره طويلة بس مش قادرة أحددها..
وفضلت الأحلام تزيد وبدأت أحس أن جوزي وعيلته مخبيين عليا حاجة مهمة!
حاولت أطلب منهم كتير أنهم يساعدوني ويفهموني الحقيقة، ولكن كان ردهم عليا دايما أن نفسيتي تعبانة وأعصابي تعبانة بس بسبب موت والدي

ووالدتي، ودا هو سبب الأحلام الغريبة اللي بحلم بيها واللي بالمناسبة مكانتش مجرد أحلام لأ..
دي كانت أشبة بالرؤى..
رؤى حقيقية جدا!
في النهاية رضيت بالقسمة واللي ربنا كتبهولي..
وبقيت عايشة لخدمة جوزي وولادي..
وبدأت أصدق أني ممسوسة أو محسودة..
أو يمكن نفسيتي تعبانة.
واستسلمت للأمر الواقع..
وسكت..
وتناسيت أحلامي..
بس أحلامي هي اللي رفضت تنساني!
لأني فضلت أحلم بأحلام غريبة أكتر من الأول..
لحد من سنة فاتت..
كنت نايمة في السرير الساعة 10 الصبح،
حسيت أن جسمي بيترعش..
سخونة غريبة في جسمي وبعدها برودة شديدة!
قلبي كان بيتنفض..
وفي نفس الوقت كنت حاسة بأحاسيس غريبة..
كنت شايفة إضاءات غريبة، حتى لما حاولت أغمض عيني.. وقلت دا كابوس وهيتنهي..

كانت المفاجأة أني شايفة أضواء غريبة جدا بتتحرك قدامي عيني..
مكنتش قادره اتنفس ولا في حد جنبي عشان اطلب منه المساعدة..
استسلمت لمصيري وافتكرت أني كده هموت..
فضلت في الحالة دي لمدة طويلة، وفي الآخر حاولت أقوم من السرير ولكني وقعت على الأرض..
وقعت وأنا شايفه قدام عيني شريط لحياتي..
حياتي اللي عشتها قبل كدة!
حياتي اللي عشتها في الجزيرة!
وبدأت افتكر كل شيء..
وابتديت افتكر إني اسمي (أمينة)
وبدأت افتكر عيلتي ووالدي ووالدتي واخواتي
كل ذكريات حياتي اللي عشتها قبل كده رجعتلي بشكل مفاجيء!
وافتكرت اللي حصلي..
بس مقدرتش أصارح جوزي بكل شيء، وخصوصا موضوع (وجيه) الدكتور اللي كان عندنا في الجزيرة.

هنا قاطعها (باسم) متسائلا.

- (وجيه) مين وإيه حكايته دا؟

ترددت السيدة للحظات وبدا التوتر على ملامحها مما دعاني لأول مرة أن أتدخل في الحوار قائلا:

- متقلقيش، احكي كل شيء واطمني..
احنا هنا عشان نساعدك..

تدخل (باسم) في الحوار قائلا:

- اتكلمي يا ستي.. اتكلمي متخافيش..

وبالفعل بدأت تكمل قصتها الغريبة:

- لما وصل جوزي للبيت حكيتله كل شيء وهو كان مش مصدق أي كلمة من كلامي..
كان بيوهمني أني اتجننت..
بس أنا كنت واثقة المرة دي جدا أني - بشكل غريب استعدت الذاكرة وافتكرت حياتي قبل كده..
وواجهته بان اسمي (أمينة) وعرفته مين هو أبويا واني اتولدت في جزيرة وحددتله مكانها..
ولكنه رفض أنه يصدقني وأنكر كل شيء، وابتدى يتهمني بالجنون وأني لو فضلت كده هيدخلني مستشفي المجانين وأنه هيحرمني من ولادي..

ابتلعت لعابها بصوت مسموع وهي تكمل:

- ولكن أنا مكنتش قادرة اسكت. أنا كنت محتاجة لإجابات منه..
محتاجة أفهم بالظبط هو ليه بيخبي الحقيقة ومش عاوز يعرفني أنا ازاي اتعرفت عليه..
وليه كان بيكدب عليا وبيقول أن أبويا وأمي ماتوا محروقين، وأن دا سبب فقداني الذاكرة وأن دا كلام الدكاترة اللي يعرفوا حالتي كويس وكشفو عليا؟
وأنه قِبِل يتجوزني رغم حالتي النفسية وحالات الجنون اللي كانت بتجيلي..
وطبعا هو كان بيكدب..
ولما بدأت أني أضغط عليه وهددت أني هفضحه وسط كل قرايبه عمل آخر تصرف كنت اتخيله..
ضربني على راسي وفقدت الوعي!
ولما صحيت لقيت نفسي في الشقة اللي في آخر دور ومتكتفة ومربوطة من رجلي بسلسلة حديد!
مكنتش مصدقة أنه ممكن يعمل دا معايا..
مكنتش أتخيل أن جوزي ممكن توصل بيه الحقارة أنه يربطني ويسجني في المكان دا!
كنت بترجاه كل يوم أنه يسيبني امشي ولكنه كان بيرفض..

كنت بطلب منه أشوف ولادي ولكنه قالي أنه سفّرهم البلد عند أخته..
اتحول لشيطان مبقاش إنسان طبيعي..
كان بيرميلي الأكل كل يوم أو اتنين لما يفتكر..
وفضلت محبوسة لمدة شهرين..
شهرين محبوسة ومتربطه بسلاسل حديد ومرمية في شقة لوحدي..
شهرين فكرت فيهم مليون مرة أني أكيد فعلا مش إنسانة طبيعية..
وإني يمكن فعلا أكون اتجننت..
وأن كل الأحلام والرؤى اللي شفتها وحتى الذاكرة اللي رجعتلي دي ممكن تكون تخاريف من عقل مريض..
وفي النهاية استسلمت للأمر الواقع..
تظاهرت قدامه أني خلاص رجعت لعقلي تاني وأن كل اللي أنا مريت بيه دا كان حالة من حالات الجنان بس خلاص أنا فقت لنفسي..
وعمري ما هكرر الغلطة دي تاني..
وأنه جوزي وحبيبي..
وأني مش ممكن أبدا أوافق أن صورته تتهز قدام الجيران أو قدام أسرته..

ونجحت خطتي..
نجحت، وفعلا وافق أنه ينزلني أعيش معاه تاني بس بشرط أني أبقى عاقلة وأسمع الكلام وأعيش وأربّي عيالي..
وطبعا تظاهرت بالندم وأني بحبه ومش هكرر غلطي تاني..
ورجعت شقتي تاني..
رجعت أعيش الحياة اللي أنا نفسي مش فاهماها ولا عارفة إزاي بدأت ولا بأي طريقة هتنتهي..
ومرت شهور وأنا بفكر إزاي ههرب من البيت؛ لأنه ببساطة كان بيقفل عليا باب الشقة وبيقفل باب البيت بالمفاتيح وبجنازير حديد..
حاولت أفكر في طريقة للهرب ولكن للأسف كل الطرق كانت بتوصل لطريق مسدود..
وهنا ابتديت افكر..
إيه السر اللي (خليل) جوزي مخبيه؟
وليه مصمم أني أسكت ومتكلمش عن الماضي بتاعي؟
وكنت كل يوم بفكر..بحاول أشوف حل حقيقي للخروج من البيت.. ومحاولة أني أفهم بالظبط إيه السر في كل اللي بيحصلي دا..

وإيه سبب الاحلام الغريبة اللي بشوفها باستمرار!
وفي الوقت دة كمان بدأت ألاحظ شيء غريب شوية وهو أن زوجي دايما بيضرب ابني الكبير (فاروق) وبيعامله معاملة قاسية جدا.. وبيعامل ابني (عبد الله) معاملة ممتازة وحنين عليه!
رغم أن الفارق بين الاتنين هو مجرد ثلاث سنوات!
كنت هتجنن وأنا شايفاه بيفرّق بين معاملته لولادي ومكنتش لاقية تفسير حقيقي لدة..
لحد ما في يوم كان بيضرب (فاروق) بدون سبب حقيقي وكنت أنا في المطبخ وسمعته بيشتم ابني وبيقوله..
أنت ابن حرام أصلا؟!
الكلمة دي كانت صعبة جدا عليا و على ابني اللي كان منهار من العياط لدرجة أنه سأل أبوه أنت ليه بتقولي كده..
وكان رد (خليل) جوزي عليه:
- ايوه أنت ابن حرام وأنا مش طايقك في البيت أصلا!
يمكن مجرد نرفزة بين أب وابنه؟
ولا في شيء تاني!
هنا بعد ما (خليل) نزل أخدت (فاروق) في حضني وحاولت أطيب خاطره..

ولكن الولد كان بيبكي..
وهو بيقول هو ليه أبويا بيعمل معايا كده؟
أنا معملتش أي شيء أستحق عليه المعامله دي،
وأنا مبقتش صغير عشان أتحمل الإهانات دي كلها..
والله يا أمي أنا أحيانا بحس أنه مش أبويا!
وبمجرد ما (فاروق) قال الكلمة دي كأن فيه لمبة كانت محروقة ونورت في عقلي..
سبت (فاروق) ودخلت غرفتي وبدأت أشوف ذكريات غريبة تاني..
وبدأت أشوف (وجيه المحمدي) الطبيب اللى كان عندنا في الجزيرة.
وشفت نفسي معاه في علاقة كاملة!
وبدأت أفتكر كلامه وهو بيحكي عن أنه مش من الزمن اللي احنا عايشين فيه وأنه جاي من المستقبل..
وأنه ليه مهمة محددة لازم يخلصها وبعدها هيختفي من هنا..
والمهمة دي مينفعش مخلوق يعرف عنها أي شيء وإلا دا هيتسبب في مشاكل كبيرة وكان بيقول مصطلحات أنا مقدرتش أفهمها أوي.. زي (تشوه

زمني) أو (اختلال بين الزمان والمكان).. وبعد كلامه دا فوجئت بيه بيحط حقنة في رقبتي..
كان بيعيط وهو بيقول: أنا حبيتك يا(أمنية)..
حبيتك ولكن بالنسبة لينا مينفعش نحب ولا نعمل علاقات..
وأنا للأسف أقمت معاكي علاقه وفعلا حبيتك..
سامحيني.. معنديش حل غير كده!
وبعد شوية رماني في المياه..
هنا أنا كانت ذاكرتي رجعتلي كاملة!
وشفت نفسي في مركب وفيه راجل وواحدة ست..
الراجل بيقول للست بعد ما قفز في المياه وأنقذني:
دي لسه فيها الروح ياما..
دي لسه عايشة..
الست بتقول للراجل يا (خليل) يابني احنا مش ناقصين بلاوي.. إرميها في المياه تاني بدال منروح في داهية..
ولكن كان (خليل) عنده إصرار أنه ينقذني..
ودا اللي حصل فعلا..
بل وبعدها بايام اتجوزني..
ولكن اكتشف أني حامل..

كل ذكرياتي رجعتلي وافتكرت كل شيء..وهو بيقول أنه هيكتب الطفل باسمه وأنه هيقول أن الطفل دا ابنه..
كنت فاقدة الذاكرة ولكن عقلي كان بيخزن كل اللي بيحصل..
لحد ما افتكرت كل دا..
ووقتها كنت فعلا كرهت (خليل) جوزي..
وكان نفسي أقتله لأنه خبي عليا حقيقتي وأنه لقاني في النيل..
وأنه محاولش يرجعني لأهلي أو يدور عليهم..
كان بيقول أنه بيحبني وأني حرام في الموت..
وأنه هيحافظ عليا وهيحافظ على حياتي وحياة ابني..
بس هو موفاش بالوعد اللي قطعه على نفسه، ورغم أنه كتب ابني الأول باسمه ونسبه ليه..
ولكني افتكرت كل شيء، وعرفت أن اللي في بطني دا ابني من الشخص الغريب اللي كان بيقول أنه بيتنقل عبر الزمن..
الشخص اللي اسمه (وجيه)..
والنهارده وسط خناقة معتاده مع ابني أنا مقدرتش أمسك نفسي ومحستش غير أني بكسر دماغه

خصوصا لما قبلها بلحظات كان هيموت ابني (فاروق) وكسر دراعه..
يمكن أكون اتجننت يا حضرة الظابط..
بمكن أكون فعلا اتجننت..
بس أنا مبقتش قادرة أفرق الحقيقة عن أحلامي..
وليه فضلت فاقدة لجزء كبير من ذاكرتي طول الفتره اللي فاتت ورجعتلي بس من سنة؟
إيه السبب؟
ومين (وجيه) المحمدي اللي كان بيقول أنه في مهمة من المستقبل..
وليه كان بيقول أن السر في الجزيرة دي وأنها هتكون السبب في حدوث دمار رهيب في المستقبل وأنه لازم يمنعة بأي شكل..
أنا مبقتش فاهمة أي شيء
بس اللي فاهماه أني أخدت حقي من الراجل اللي أنقذني ولكنه طمس حقيقتي وأهانني وأهان ابني، وعمري مهنسي لما حبسني زي الكلبة فوق لوحدي وكان بيرميلي الأكل على الأرض زي الحيوانات..
أنا خدت حقي منه..
ومنعت شره عن ولادي..

ثم نظرت ناحيتي وهي تقول:

- في شيء تاني أنا لازم اقوله ليكم يا بشوات..
اللي اسمه (وجيه) دا قبل ما يرميني في النيل كان بيقول أنه بيديني فرصة للحياه بعيدا عن الجزيرة ولعنتها..
وأن اللي في الجزيرة كلهم ليهم حقيقة غير اللي بيظهروا بيها..
وأنه يمكن بقتله ليا بينقذني من مصيرهم..
كل كلامه أنا فاكراه..
كل مقابلاتي مع (وجيه) أنا فاكراها كويس جدا..
ومش عارفة هتصدقني لو قلتلك أنه فعلا تصرفاته وطريقته وكلامه الغريب عن المستقبل كان بيحسسني أنه مش من الزمن اللي كنا عايشين فيه!
وكانت آخر مرة أشوف فيها (وجيه) وهو بيرميني في النيل وسط دموعه وهو بيتأسف ليا..
ودا كان سنة1955 !

انتهت السيده من حكايتها الغريبة، وظللت أحدق بها لدقائق، وكذلك فعل (باسم)، وفي النهاية حضر العسكري ليأخذها للحجز!

ونظر لي وهو يشير بيده قائلا:

- إيه رأيك دلوقتي؟ أنت سمعت كلام الست وكلام أخو جوزها..
ياترى العائلة دي مجانين؟
ولا الست كلامها صح؟
ولا زي ما (سليمان) اخو زوجها مبيقول انها ممسوسة وأن كلامها كله من الشياطين والجن اللي عليها بسبب أن أخوها لقاها في النيل وحبها!

هنا ابتسمت قائلا :

- لا وعجبني (سليمان) وهو بيقول أنها جنية البحر ولكن أهلها اتخلوا عنها للبشر ودا السبب أن (خليل) أخوه حبها ووقع في غرامها..

ضحكنا سويا، ولكن في الحقيقة كانت الافكار تدور في عقلي بسرعة الصاروخ.. فهذه السيده كانت تتحدث بصدق!

صدق غريب..

ولم اشكك في روايتها نهائيا، ولكن كيف يمكن التأكد من صحتها؟

هل من الممكن أن تكون هذه السيده بالفعل قد التقت بمسافر عبر الزمن بل وحملت منه؟

هل بالفعل السفر عبر الزمن حقيقي من الأساس؟!

نعم..

لقد مررت بنفسي بحالة مشابهة، ولكن هل من الممكن تكرار ما حدث مع مع آخرين؟

بتفاصيل مختلفة!

تركني (باسم) وذهب ليقوم بالتفتيش على العاملين بالقسم، وظللت أنا أحاول أن أقدم لنفسي تفسيرا مقنعا..

الخيوط كثيرة!

جزيرة..

وسفر عبر الزمن..

وأشباه بشر..

وكارثة مستقبلية..

هل كانت هذه السيده تختلق كل هذه القصة من أجل أن تقنعنا أنها مختلة عقليا بحثا عن تخفيف عقوبتها مثلا؟

أم أن ما أخبرتنا به منذ دقائق هو أمر حقيقي بكل ما فيه من غرائب؟1

هاجس بداخلي يردد بوضوح أن هذه السيده صادقة فيما قالته..

بل ويجبرني أن أبحث عن صدق روايتها!

ونداء آخر يتردد بقوة في جنبات عقلي أن كل ما أخبرتنا به هو مجرد ترهات لا أساس لها من الصحة ويجب أن أنسحب من الأمر!

أشعلت لفافة تبغ وأنا أنفث دخانها في سماء الغرفة المعبأة بالدخان..

وفي النهاية اتخذت القرار الذي سوف يريح ضميري تمامًا..

لقد قررت أن أتدخل في تلك القضية الغريبة ومحاولة كشف صدق هذه السيدة!

فإما أن تكون صادقة وإما أنها بارعة في الكذب والتأليف بشكل مرعب..

عاد (باسم) إلى الغرفة ووجدني أقوم بكتابة بعض الملاحظات في ورقة صغيرة بعد أن انتهيت من قراءة ملف التحقيق الخاص بقضية القتل..

عقب قائلا:

- يا أخ (شيرلوك هولمز)، يلا نروّح.. أنا تعبت ووردیتي خلصت!
اقعد أنت فكر في اللي حصل دا، ولو لقيت تفسير منطقي ابقي عرفني وأنا هنتظرك!

وبالفعل غادرنا سويا، على وعد مني بمحاولة دراسة الامر والوصول إلى الحقيقة..

حقيقة هذه السيدة!

وحقيقة الجزيرة!

والسفر عبر الزمن!

والكارثة التي سوف تحدث..

واهل الجزيرة الغرباء..

كل تلك الأفكار كانت تتوارى بخجل وأنا ألتهم طبق الكشري من محل (عرفة) بشارع شبرا..

عن أي خوارق تتحدثون ونحن أمام إعجاز غذائي عظيم غارق في صلصة الطماطم يدعي الكشري!

سوف أنتظر للصباح كالعاده حتى آخذ قسطا من النوم..

ولكن..

من الممكن أن أحصل على غفوة الآن..

إن التنازع المحترم بين الشطة والكشري والكيانات الزمنية لهو أمر مجحف في حق الحياة البشرية..

ويجب على الجميع أن يتأكد من صحة نظريات الانتقال الآني باستخدام القليل من الليمون والكثير من الثوم!

إن تأثير طبق الكشري العملاق على معدتي المرهقة وعقلي الأكثر إرهاقا يأتي بنتائج مثمرة..

أليس كذلك؟!

** ** **

استيقظت في الواحده صباحا..

ولكني لم اغادر الفراش لأني ببساطة استيقظت كرد فعل طبيعي لإحساسي أن هناك من يحدق بي!

تلك القشعريرة الهائلة التي تجتاح جسدي كانت تشير بوضوح إلى أن هناك من يحدق بي، بل وربما هناك من يجلس بجواري على الفراش كذلك!

صوت عقارب الساعة الفسفورية المعلقة على يساري ودقاتها الرتيبة يتناغم بشكل ما مع إحساسي أن هناك من يتنفس بجواري..

كنت أحاول جاهدا أن أتحكم في ردة فعلي وتوتري الزائد عن الحد..

لم يكن بمقدوري أن ألتفت إلى جانبي لأتأكد من صحة ما أشعر به..

حاولت أن أحبس أنفاسي لثوانٍ حتى يتسنى لي سماع صوت الشيء النائم أو الجالس بجواري..

وبالفعل..

كان صوت أنفاسه واضحا..

لماذا استسلمت للنوم قبل بزوغ الشمس!

أنا الآن في مواجهة شيء ما..

والحق يقال أني لا أعلم هل هو هنا لسبب جيد أم لكارثة جديدة..

هل أتحرك وأركض بسرعة لفتح إضاءة المكان ومعرفة الحقيقة؟!

أم انتظر و يكون ذلك الشيء بجواري هو الباديء؟

في النهاية تمالكت نفسي وبدأت أتحرك بهدوء مغادرا الفراش..

ولم أكد اتحرك حتى شعرت بتلك اليد الساخنة تمسك بي من رسغي!

ولم أنظر لصاحب اليد وإنما بسرعة قمت بإشعال الإضاءة في المكان..

وهنا رأيته..

أو رأيتها!

سيدة بوجه شيطاني رهيب جسدها مغطي بالوحل نائمة على جانبها الأيسر..

تنظر لي مبتسمة والجزء الأيسر من رأسها يتهدل منه وبوضوح بقايا مخها..

كم كنت أتمنى أن تنجح الإضاءة في إبعاد ذلك الشيء..

ولكنه قدري الذي يجب أن أتعايش معه!

قدري الذي عبثت به الشياطين والكائنات الغريبة حتى وصلت إلى تلك الحالة..

وبصوت مبحوح وبهدوء تناثرت كلماتها:

- اجلس أمامي..

لا داعي لمحاولة الهرب..

أنا أراقبك منذ خمس ساعات..
كان بامكاني أن أخلص العالم من كوارثك!

كانت تقول كل ذلك وهي مازالت على نفس الوضعية في الفراش!

جلست أمامها على الأريكة وقد بدأت أستعيد ربطة جأشي:

- مين انتي؟

قلتها وأنا اشعل لفافة تبغ..

ابتسمت لي بابتسامة شنيعة وهي تقول بالفصحى:

- انا مجرد رسول قادم إليك برسالة..

سألتها بهدوء:

- وهل على الرسول أن يتسلل إلى المنازل واستباحتها مثلما تفعلين الآن؟

هنا بدأت تستشيط غضبا من كلامي لترد قائلة:

- من أنت حتى توجه لي اللوم أو تحاول أن تصحح أفعالي!
أنا قادمة لك برسالة من (بيال)..

الحقيقة بمجرد ذكرها لاسم (بيال) (*) فقد انتفض قلبي بشدة..

بل وعادت لي الذكريات الكارثية عن المغامرة التي خضتها منذ سنوات..

تذكرت أرض (هينو) والحرب الطاحنة التي حدثت هناك بين قبائل وعشائر للحصول على كتابهم المقدس (الباروخ)..

الحرب التي انتهت بعدد خسائر هائل من الطرفين وبعدها كانت الهدنة!

لقد كنت شاهدا ومشاركا فيها!

وهي من اسباب لعنتي الأبدية التي أصبحت أعيش معها طواعية..

أن لا يغمض لي جفن إلا مع شروق الشمس!

بالطبع ذلك جزء بسيط من لعنة أبدية هائلة..

(*)(بيال) أحد أخطر الشياطين التي ذكرت في التاريخ القديم وهو المسئول عن عدد هائل من قبائل الشياطين والمسئول عن التضحيات البشرية من أجل الشيطان الأعظم.. كانت لي معه مغامرة جحيمية ولكنها لم تصدر بعد!

لعنة سوف أكمل بها الباقي من أيامي في هذه الحياة!

انتزعتني من أفكاري وهي تعتدل في جلستها لتتساقط بقايا الوحل على الفراش قائلة:

- الرسالة لك واضحة..
- هنالك عدد من التضحيات البشرية التي تخص (بيال) وهو يطالب بحقه فيها وأن لا تتدخل فيما ليس لك به علم..

هنا نظرت لها باستغراب وعدم فهم حقيقيين قائلا:

- عن ماذا تتحدثين! ليس لي علاقة بعالمكم ولا تضحياتكم وقرابينكم من قريب أو من بعيد!

ابتسمت ابتسامة خبيثة وهي تقول:

- التضحيات لن تتم الآن، ولكنها تضحيات سوف تحدث مستقبلا وهي مرتبطة بشكل أساسي بالسيدة التي قابلتها الليلة..

حاولت أن أتكلم ولكنها قاطعتني بإشارة من يدها وهي تقول بحزم:

- لا تتدخل في ذلك الأمر ودع كل شيء يسير كما هو وابتعد تماما عن لغز تلك السيدة وجزيرتها..

واقتربت مني بوجهها الدميم وهي تعتصر كلماتها قائلة:

- وخصوصا أمر الجزيرة.
هذه هي رسالتي لك!

هنا بادرت بسؤالها:

- وماذا لو لم أستمع لتحذيركم؟

أجابتني وهي تغادر الغرفة:

- سوف تكون التضحيات والقرابين أكثر وأكثر مما تتخيل!

ثم التفتت ناحيتي وهي تكمل:

- لا مجال للاختيار الآن..
هو قرار ويجب أن تقوم بتنفيذه!
ولا تظن أن من يحميك الآن قادر على حمايتك للأبد!

هي تقصد عهد الحماية الذي حصلت عليه بعدم التعامل والإيذاء المباشر بيني وبين الشياطين..عهد دموي كان هو الخلاص بالنسبة لي حتى أبقى على قيد الحياة!

وبعد لحظات اختفت من أمامي!

بالطبع لم تخرج من باب المنزل وإنما كان الصوت الواضح هو غلق باب دورة المياه من خلفها!

جلست على الأريكة وأنا أحاول استيعاب كل ما يحدث..

لقد مرت فترة طويلة منذ آخر حديث مباشر بيني وبين عالم الشياطين..

لماذا تنازلوا عن طبيعتهم في هذه المرة وأرسلوا لي فردا منهم لتحذيري من التدخل في أمر السيدة التي قابلتها في قسم الشرطة؟

ولماذا كان التأكيد على أن أبتعد عن محاولة فهم حقيقة ما يحدث في تلك الجزيرة؟

كان الأمر محيرا بالفعل، ولولا بقايا الوحل المتبقية على فراشي لتخيلت أن كل ما مر بي هو مجرد هلوسات وليس أكثر ..

مئات الافكار كانت تتصارع في عقلي في تلك اللحظات وأنا أغادر المنزل..

أشعر بأني في حاجة ماسة لاستنشاق بعض الهواء النقي..

كنت أحاول ترتيب أفكاري بشكل واضح، وكانت كل أفكاري تتجه صوب كلمات السيدة التي قابلتها في قسم الشرطة

عن الرجل الذي يتحرك عبر الزمن وعن كلماته لها عن أسرار ما يحدث في تلك الجزيرة..

عقلي يكاد أن يشتعل من كثرة الأفكار..

ترى هل أستجيب إلى تحذير ذلك الكائن وأن أبتعد؟

هل هكذا وببساطة أترك الأمر وكأنه لم يكن من الأساس؟

لم أكن أبدا من هذه النوعية، وربما هذا هو سبب إرسالهم لذلك الكائن ورسالتهم التحذيرية الواضحة من ألا اتدخل في ذلك اللغز ..

هل بالفعل الأمر بتلك الأهمية؟

كنت أسير في الشارع وأنا أتمتم بكلماتي لا أعلم إلى أين أذهب ولكني كنت في حيرة تامة مما حدث!

الكائن تحدث عن قرابين تخص (بيال)، وهي لن تحدث إلا مستقبلا..

هل ذلك يتفق بشكل ما مع كلمات السيدة التي قابلتها في قسم الشرطة والتي تحدثت ايضا عن الرجل القادم من المستقبل؟

هنا بدأت الرؤية تتضح شيئا فشيئا بالنسبة لي..

كنت في حاجة ماسة إلى أن أحكي مع شخص ما

أي شخص..

ولكن للأسف الشديد لن يصدقني أحد..

لن يصدق أحد أني منذ دقائق كنت أتحدث مع مبعوث لأحد أهم الشياطين وأكثرهم شرا وكرها للبشر.. بل وهو أكثر من يطالب بحقه من القرابين والوفيات البشرية!

من يمكنه أن يصدق أي حرف من كلماتي حتى ولو استطعت أن أنطقها؟!

لا أحد..

وحتى لو تجرأت وتحدثت لصديق أو قريب لي فسوف أحصل على بعض النظرات الحزينة البائسة عن الحالة الغريبة التي وصل لها (نادر زهران)!

وأني بالفعل قد فقدت عقلي أو ممسوس أو ملبوس أو أي شيء من هذا القبيل!

هنا خطر في بالي شخص ربما يمكنه أن يستمع لي وهو يعلم أني صادق في كل ما أحكيه..

(أيمن عبد الصبور)!

صديق الطفولة الذي عاصر معي بعض الكوارث!

يعيب (أيمن) حبه الشديد للنوم..

أتذكر من قبل أنه كان نائما في منزلي وقت أن كان مجندا في الجيش وفي الصباح كان لابد له من يذهب إلى وحدته، وحاولت أن أقوم بإيقاظه بشتى الطرق من الساعة الخامسة فجرا إلى الساعة التاسعة صباحا بلا جدوى!

وكان نصيبي هو مقدار لا بأس به من الشتائم والسباب..

ومن يومها أدركت أن (أيمن) يعشق النوم بل ويفضله على أي شيء في هذا الكوكب!

كان يعمل في محطة المياه وآخر لقاء بيننا كان منذ فترة ولكني أعلم أنه اختار أن يعمل في وردية الليل..

وبالطبع السبب واضح..

إنها الوردية الملائمة له لكي ينام!

هنا كانت الأقدار ترسم لي طريقي بعناية شديدة..

فببساطة، ولأن (أيمن) يعمل في شركة المياه، فلابد أنه يعلم ولو بعض المعلومات عن الجزيرة التي تحدثت عنها (أمنية) وذكرتها في التحقيقات..

الصراع الغريب داخل عقلي والأجراس تدق في إصرار مخيف أن ألتزم بعهدي وأن لا أتعدى حدودي وأبتعد عن تلك القضية..

مازالت ملامح السيدة الشيطانية التي قابلتها منذ قليل في منزلي راسخة في عقلي..

يجب أن أتخذ القرار..

أكمل طريقي لـ(أيمن) وأحكي له عن كل ما حدث..

أو..

أن اعود أدراجي إلى المنزل مرة أخرى وأتناسى كل شيء!

وبعد مشاورات ومداولات بين كل وجهات النظر

كنت أقف أمام باب محطة مياه شبرا مناديا على(أيمن)!

أصوات نباح الكلاب تتعالى بمجرد أن تكررت مناداتي لـ(أيمن)..

كنت أقف أمام البوابة الحديدية لمحطة المياه وأنا أتلفت حولي بسبب اقتراب عدد لا بأس به من الكلاب الضالة..

أنا لا أخاف الكلاب ولكني أكره الحقن..

ويكفي أن أتخيل حصولي على واحد وعشرين حقنة لكي اكون في منتهي الحذر !

بعد مرور خمس دقائق قررت أن أغادر عائدا إلى منزلي!

حسنا ها هو القدر يقف حائلا أمامي ليغلق على المضي قدما والبحث في تلك القضية..

ولكن مهلا..

فمجرد أن تحركت لبضعة أمتار سمعت صوت البوابة الحديدية تفتح و(أيمن) يقوم بالنداء على ضاحكا:

- **ياعم (نادر) رايح فين، تعالي بس أنا كنت بصلي العشاء..**

وبعد القبلات والأحضان كنا نشرب من أكواب الشاي القاتم الذي صنعه (أيمن) لنا..

أشعلنا لفافات التبغ و(أيمن) يسألني عن أحوالي وكيف هي الحياة وحيدا وبعيدا عن الأصحاب والأقارب..

وحكي لي عن شقيقه وصديقي العزيز (مصطفي) الذي رزقه الله بطفلتين..

وكيف أن الحياه قد أخذتنا كلنا كأسرى لأيامها وشهورها..

أنا أكره تلك الأحاديث المعتادة!

أشعر باختناق لتكرارها!

أنا أعلم أن الحياة صعبة..

وأعلم أن المعيشة كذلك..

والأسعار ترتفع في جنون..

وأن العالم يذهب إلى نهايته!

أنا أعلم كل ذلك ولم أعد أحتمل تكراره أمامي!

تركت (أيمن) حتى انتهى من كلامه ونظر لي قائلا:

- **خير يا (نادر) في إيه؟**

أجبته وأنا أتطلع إلى مياه النيل المتشحة بالسواد:

- **شوف يا(أيمن)..**

أنا هحكيلك وأنا واثق أن مفيش أي مخلوق هيعرف التفاصيل اللي هتسمعها دلوقتي..

وبالفعل حكيت كل شيء لـ(أيمن) منذ مكالمة (باسم) حتى مقابلة الكائن في منزلي منذ قليل!

الحقيقة، ورغم كل الكوارث المحيطة بي فلم أتمالك نفسي من الضحك حينما شاهدت انطباع (أيمن) ونظرات الاستغراب الممزوجة بعدم التصديق المرسومة على وجهه.

- (أيمن).. يابني..

ناديت عليه وهو مازال تحت تأثير الصدمة من كلماتي..

وفي النهاية التفت لي وهو يهز رأسه بهدوء قائلا:

- أنت عارف يا (نادر) كويس أننا أصدقاء واخوات وعشرة عمر، وأنا من الناس اللي عمرها ماهتكذبك أيا كان كلامك..
بس المرة دي أنا مستغرب جدا جدا من شيء أنت ذكرته وسط كلامك..

سألته وأنا أشعل لفافة تبغ:

- إيه هو الشيء دا؟

أجابني وهو يحك شعره بأظافره بحركة توضح مدي توتره:

- كلامك عن الجزيرة دا فكرني بحكايات سمعتها هنا من الموظفين في شركة المياه معانا ومن الصيادين كمان..

انت عارف كويس أن بحكم عملنا هنا في مأخذ المياه فأغلب تعاملنا بيكون مع الصيادين..
وكلامك دا فكرني بحكاية غريبة سمعتها من موظف معانا اسمه (سلامة أبو مندور) ولكنه طلع على المعاش من سنتين..
عم (سلامة) كان بيحكي عن جزيرة بيحصل فيها حاجات غريبة..
وكانت الناس بتقول أن الجزيرة دي..

ولم يكمل كلماتة وانما تلفت حولة اولا ثم قال بصوت خفيض:

- **أن الجزيرة دي ملعونة وأن بيسكنها مملكة جن..**
ولما سأل الصيادين اللي بيعدوا من جنب محطة المياة عن الجزيرة دي، أغلبهم مكنش عنده معلومات ولكن بعضهم نبه عم (سلامة) أنه بلاش يحكي عن موضوع الجزيرة دي وأن أجدادهم الصيادين حذروهم من مكان ملعون لجزيرة في وسط المياه وحددوا مكانها ناحية منطقة (المنيب) وأن ممنوع الصيد هناك، ولو حد هيصطاد يبقي بالنهار بس!

الكلام دا عم (سلامة) كان بيحكيه في بداية شغله معانا هنا في محطة المياه، يعني من حوالي ثلاثين سنة..

هنا كنت أستمع إلى كلمات (أيمن) وأنا أعلم تماما أن مجيئي إليه لم يكن صدفة..

بل بالعكس، لقد كان محتما علي أن أحضر إلى (أيمن) وأن أسمع منه تلك المعلومات!

وجال بخاطري كلمات السيدة التي قابلتها بقسم الشرطة

وأنها ولدت بجزيرة!

لقد قالت جزيرة (القرصاية) أو (بين البحرين)، ثم انتبهت إلى ما قالته في النهاية وهي تقوم أن المكان أيضا يدعي:

(الجزيرة السوداء)!

هل هي مجرد مصادفة أن يبعث لي المقدم (باسم الحمامصي) لأساعد في قضية غريبة ثم ألتقي برسول من طرف (بيال)!

ثم بعدها أجد نفسي جالسا مع (أيمن) وهو يحكي لي عن موضوع مشابه لما قصصته عليه منذ دقائق..

ذلك يخرج عن نطاق المصادفات المعروف..

إنه طريق كان مقدرا لي أن أعبره..

كان (أيمن) مستمرا في سرد بعض الحكايات عن تلك الجزيرة، وهنا سألتة سؤالا هاما:

- **(أيمن).. متقدرش تحدد بالظبط مكان الجزيرة دي فين؟**

هز رأسة نافيا وهو يقول:

- **للأسف لأ.. محدش قدر يحدد بالظبط الجزيرة دي فين، بس الأغلبية قالوا أنها ناحية (المنيب) والبر التاني من النيل..**

الصراع على أشده بداخلي حتى الآن..

هل أكمل في طريقي وأبحث عن حل للغز السيدة وتلك الجزيرة؟

أم أرضخ لتحذيرات (بيال) وأن أترك كل شيء!

- **تشرب قهوة؟**

قالها (أيمن) لينتزعني من حالة الشرود والتردد التي أمر بها..

جاوبته أني بحاجة فعلا لكوب من القهوة!

تركني وذهب لتحضير القهوة..

القرار لي الآن!

ولأني شخص يعشق التحدي؛ فقد قررت أن أتناسي الأمر برمته!

نعم..

لقد قررت أن أبتعد عن هذه القضية!

أعتقد أن هذا هو القرار الصائب بالنسبة لي..

ربما يكون كل شيء محض خرافة..

السيدة ربما تتعاطي المخدرات أو أنها بالفعل مريضة نفسيا..

والصيادون ربما يتناقلون أساطير وخرافات ليس أكثر..

لماذا أستفز الشياطين وأواجههم في وقت لم يعد بامكاني ذلك!

نعم لقد أنهكتني الحروب والصراعات..

وأنهكني سوء حظي الذي يلازمني منذ نعومة أظافري..

إن قراري هو أن أنسى الأمر برمته.

بعد دقائق كنا نرتشف القهوة السوداء بطعمها المقزز التي صنعها لنا (أيمن)!

نظر لي بتفاخر وهو يقول:

- **هاه إيه رأيك في القهوة؟**

أجبتة مبتسما ومقاوما لألم معدتي:

- **ما شاء الله يا (أيمن).. قهوتك مكانها في المجاري يا حبيبي!**

قضينا الليلة نتحدث عن الذكريات التي عشناها سويا، وعن أيامنا العظيمة في (الإسكندرية)..

وكيف أن (أيمن) قد تغير ولم يعد مهتما بصداقة النساء مثلما كان من قبل..

وكيف كنت أخجل من الخروج معه في الماضي بصحبة أصدقائه من الجنس اللطيف..

وهنا لابد لي من أن أذكر شيئا هاما..

من قال عنهن (جنس لطيف) يجب أن يعيد النظر في تلك التسمية..

فهن - وبحق - جنس مخيف!

كمية الدهاء التي تمتلكها المرأة لا حدود لها وتكون الطامة الكبرى أن يمتزج الدهاء بعقل طفولي متسرع.. هنا يكون الأسهل بالنسبة للرجل أن يغادر الكوكب حتى يتسنى له أن يشعر بالهدوء!

أما بالنسبة للرجل، أنتم تنتظرون أن أقوم بتمجيد الرجال أو الذم فيهم وفي تفكيرهم..

أليس كذلك؟

عذرا سوف أخيب ظنكم ولن أتحدث عن الذكور بأي سوء فأنا أنتمي لهم ولكن يكفي أن نعلم أن سبب خروجنا من الجنة هو (آدم) وليست (حواء) كما هو متعارف عليه!

- **بقولك يا(نادر)..**
- **خير يا(أيمن)..**
- **بمناسبة أنك بتفهم بقي في المواضيع الغريبة والعجيبة دي.. فيه ناس من الموظفين معانا هنا في الوردية الليلية بيشتكوا من سرقة فلوسهم وبيشتكوا من أنهم بيسمعوا أصوات غريبة من قلب العنبر تحت عند المواتير في الدور الرابع تحت الأرض..**
  تفتكر دا حقيقي ولا إيه؟

بس استني قبل ما تجاوبني..
والله والله يا (نادر) أنا نفسي بسمع أصوات غريبة..
من تحت.. من عند مأخذ المياه!
أنا مكنتش مصدق كلامهم أول ما اشتغلت هنا،
ولكن واضح أن كلامهم دا حقيقي لأني باسمع ناس
بتنده عليا من الدور الرابع ومحدش يجروء أنه ينزل
لدور واحد تحت الأرض..
حتى صيانة المواتير دي بتكون بالنهار بس..
تعتقد دا إيه؟

ابتسمت وأنا اهز رأسي يمينا ويسارا..

قوتي المغناطيسية في جذب الظواهر المرعبة لا تصدق!

في أي مكان أتواجد به يجب أن يحدث شيء!

ولن أستغرب لو وجدنا أجسادا بدون رؤوس تخرج إلينا
الآن من السلم المواجه لنا والموصل إلى قاع محطة المياه!

- يابني رد عليا..

أجبته وأنا أستعد للمغادره قائلا:

- مفيش حاجة يا (أيمن) متقلقش..

ومتخافش إلا في حالة واحدة بس، أن شيء يظهر قدامكم وأكتر من شخص يشوفوه.. غير كده متقلقش..

أجابني وهو يغادر مكانه:

- ولو قلتلك أن في موظف معانا شاف اللي أنت بتحكي عنهم دول وأنه جاله شلل منهم هتصدقني؟

ربتُ على كتفة قائلا:

- هصدقك يا (أيمن)، وأوعدك إني هشوف حكاية العنبر بتاعكم دا.. بس في وقت تاني!

وألقيت عليه التحية مغادرا!

- هشوفك تاني إمتى يا (نادر)؟

أجبته ضاحكا:

- المرة الجاية هجيلك ونشوف حكاية عفاريتكم دي، وأوعى تنزل تحت يا (أيمن)..
ولو حد كلمك متردش عليه...

قلت له تلك الكلمات بصوت عال وأنا أسير في الشارع مع بداية شروق الشمس!

لقد انقضت الليلة على خير..

ومازالت رأسي تحتل مكانها المميز أعلى كتفي..

بعد دقائق كنت قد وصلت تقريبا إلى المنزل..

ولكن..

لفت نظري سيارة الشرطة المتوقفة أمامه!

وبمجرد اقترابي أكثر من المنزل اقترب مني عسكري شرطة وهو يقول:

- أستاذ (نادر).. (باسم باشا الحمامصي) عاوزك في القسم!

سألتة باستغراب:

- دلوقتي؟

أجابني وهو يفتح لي باب السيارة:

- أيوه يا باشا، هو قالنا ننتظرك على الباب لأنه بيتصل بحضرتك ومش بترد، وأنا طلعت وخبطت على الباب ومحدش رد عليا..

هذا اليوم يأبى أن ينقضي!

وتحركت السياره بنا إلى قسم الشرطة..

ترى، ما الذي حدث حتى يستدعيني (باسم) في هذا الوقت!

** ** **

بعد دقائق كنا في قسم الشرطة..

هناك حالة من الاضطراب سائدة في أروقة قسم الشرطة.. الحركه المتوترة للجميع تشير إلى ذلك..

وصلت إلى مكتب (باسم) بصحبة العسكري..

وبمجرد أن شاهدني ترك الأوراق التي أمامه قائلا:

- **أنت فين يا (نادر)،اتصلت بيك في البيت كتير جدا ولما زهقت بعتلك الرجالة عشان يشوفوك يمكن نايم وشايل فيشة التليفون! اقعد يا (نادر)..**

جلست على المقعد المواجه له وقد بدا على ملامح (باسم) الإرهاق التام وقلة النوم وهو يقول:

- **طبعا أنت مستغرب أني بعتلك وطلبت أنك تيجي بسرعة..**
  بس الحقيقة أن اللي حصل كان يستدعي أنك تيجي..
  تعالى معايا..

كنت أسير بجواره وهو يقول:

- طبعا أنت ملحقتش تنسى قضية الست اللي قتلت جوزها..

أجبته وأنا أحاول اللحاق بخطواته السريعة:

- لا طبعا أنا فاكر..
- من ساعة اتصلوا بيا عشان يبلغوني باللي حصل ليها في غرفة الحجز!

قالها وهو يشير بيده لشاويش شرطة أن يفتح الباب الحديدي الأسود لغرفة حجز النساء..

وكان أمامي الشكل المهيب لما تبقى من السيدة..

السيدة كانت مقطعة إلى أشلاء وقد تناثرت تلك الأشلاء في أرجاء غرفة الحجز..

تراجعت للخلف بشكل لا إرادي و(باسم) يكمل:

- الست دي - ولأنها مختلفة عن النسوان المسجلة وبتوع الآداب - أنا طلبت أنها تكون في غرفة لوحدها لحد ميعاد عرضها على النيابة..

وللأسف الشاويش اللي كان واقف على باب الحجز كل اللي قاله أنه سمع صوت صريخ جامد وكأن فيه خناقة جامدة داخل الحجز!

ولما فتح الباب كان المنظر اللي قدامك دة!

تمالكت اعصابي بقدر الإمكان وأنا أساله:

- **هل يمكنني أن أتفحص الجثة؟**

فأشار لي بالموافقة بإيمائة من رأسه وهو يؤكد على ألا ألمس أي شيء..

وبالفعل اقتربت من الأشلاء المتناثرة..

من يصدق أن تلك الأشلاء كانت شخصا متكاملا يأكل ويشرب.. بل يقتل منذ سويعات!

لاحظت مع اقترابي من الأشلاء كمية لا بأس بها من الأوحال على عنق الجثة المفصول عن جسدها!

وكذلك على الأقدام..

أوحال؟

في قسم الشرطة؟

هنا كنت على وشك أن أخبر (باسم) أن هذه الاوحال أنا أعلم مصدرها.

ولكني تراجعت في آخر لحظة..

الأمر واضح وضوح الشمس..

من تسببت في قتل تلك السيدة هي من كانت تجلس على فراشي الليلة!

إنها رسول (بيال)..

ولكن لماذا؟

هل كانوا يعلمون أني سوف أحاول كشف اللغز؟ وأني سوف أكمل بحثي لمحاولة العثور على تفسير لما يحدث؟

ولكني بالفعل كنت قد قررت أن أكتفي بما حدث وألا أكمل بحثي..

هل كان (بيال) يعلم المستقبل ويعلم ما سوف يحدث؟

أنا أعلم أن هناك غيب مطلق وغيب نسبي، ومؤمن تماما أن الغيب من أمر الله..

ولكن كيف حدث هذا؟!

ولماذا الإقدام على قتل هذه السيدة بذلك الشكل البشع؟!

هل هي رسالة لي أن أبتعد؟

أم أن الحقيقة سوف تختفي مع مقتل هذه السيدة؟!

ربما كانت هي مفتاح حل لغز كل شيء؟

مئات الأسئلة كانت تدور في عقلي وأنا أرتشف فنجان القهوه الذي احضره لي (باسم)..

الأمر أصبح يزداد تعقيدا..

بالطبع رجال المعمل الجنائي لن يصلوا إلى أي شيء بخصوص الأوحال..

وسوف يتم قيد الموضوع كانتحار للسيدة!

لقد عانت كثيرا السيدة (أمينة)..

عانت وهي على قيد الحياة..

وعانت وهي تغادرها!

عاد إليَّ (باسم) وهو في حالة عصبية شديدة وهو يصرخ في الشاويش الواقف بجوار باب مكتبة قائلا:

- **ناقصين مجانين إحنا عالصبح! هاته يا سيدي خليه يتفضل لما نشوف حكايته ايه!**

وجلس خلف مكتبه..

ودخل من بعده الشاويش ومعه رجل قصير القامة يرتدي جلبابا أخضرا ويضع وشاحا على كتفه.. رجل في العقد السادس من العمر على أقل تقدير، حفر الزمن على وجهه عشرات الخطوط..

- خير يا حج؟ في الاستيفاء بيقولولي أنك جاي تبلغ عن حاجة مهمة، ياريت تعيد الكلام اللي أنت قلته وتقوله تاني قدامي هنا!
- حاضر يا باشا.. أنا اسمي (على القرشي).. أنا بشتغل مراكبي.. يعني أرزقجي على الله وعشت حياتي على المياه..

قاطعه (باسم) بنفاذ صبر:

- اختصر يا حج بالله عليك.. أدخل في الموضوع على طول!

أجابه الرجل:

- حاضر يا باشا.. أنا ياباشا خرجت من الساعه 12 على أكل عيشي بالمركب.. وقبل الفجر وناحية (المنيب)..

لاحظت أن الرجل بدا عليه الخوف وبدا ذلك واضحا من صوته الذي بدا يتحشرج:

- وقبل الفجر ياباشا حظي الأسود أني رحت في النوم و(سيد) ابني هو اللي كان بيسوق المركب..
وصحيت على صوت ابني وهو بيصرخ وبيندە عليا وبيقول:
الحق يابا حريقة يابا حريقة كبيرة!
قمت من النوم مفزوع وبصيت حواليا ملقتش حريقة ولا حاجة..
وابني كان لسة بيصرخ ويشاور ويقول الحريقة اهيه يابا هناك في الجزيرة..
وفعلا يا باشا كانت فيه حريقة كبيرة قدامي!
بس الحريقة دي أنا مكنتش قادر أصدق عيني أني شايفها لأنها مكانتش في أي مكان..
دي كانت..
كانت..

هنا صرخ فيه (باسم) بنفاذ صبر:

- كانت فين يا حج ماتقول!

أجابه الرجل:

- كانت في الجزيرة السودا يا باشا.

كنت أحدق في الرجل، وكذلك فعل (باسم) وسأل الرجل بسرعة:

- إيه الجزيرة السودا دي يا حج؟ مش فاهم..

بدت على الرجل الحيرة الشديدة وكأنه في صراع بين أن يخبرنا أو يكتفي بما قاله..

وفي النهايه تحدث الرجل قائلا:

- دي ياباشا مكان كنا بنسمع عنه من زمان من أيام جدودنا.. مكان ملعون وبيقولوا أن اللي ساكنين فيه مش بشر أصلا..
وناس تانية قالت أنهم بشر بس ملبوسين والعياذ بالله من شياطين.. وممنوع على أي صياد أنه يقرب من المكان اللي المفروض أننا عارفينه ناحية البر التاني من (المنيب)..
واللي بيقرب من المكان دا يا بيختفي يا بيتجنن..
واحنا كصيادين محدش بيقرب منه أساسا..
المهم ياباشا أني شفت الحريقة.. فعلا حريقة كبيرة..
أتاري الواد ابني وأنا نايم راح بالمركب ناحية الجزيرة السودا.. لأنه صغير وعبيط ومش فاهم!

صرخت فيه أنه يغمض عينيه لأن اللي قدامنا دا جن.. آه والله ياباشا دي ألاعيب الجن!
وأدّفت بالمركب وبعدت على قد ما اقدر، بس كان في شيء بيشد المركب عشان ترجع للجزيرة، والحمد لله عرفت ابعد عنها..
ولما بعدت عنها بصيت عليها تاني لقيتها اختفت!
آه والله ياباشا اختفت ومعادتش ظاهرة!
وطلعت على البر..
قولت آجي ابلغ البوليس يشوفوا حل للموضوع دة!
لأني أعتبر شيخ الصيادين وأكبرهم سنا.. وكفاية أن كل كام سنة لازم الجزيرة السودا تاخد عيلة من الصيادين ومحدش يعرف عنهم حاجة..
بس يا باشا.. دا اللي حصل!
الجزيرة دي شر يا باشا.. شر ومحدش عارف ليه نهاية، و على فكرة ياباشا لما الجزيرة السودا بتظهر دا بيكون لأكتر من يوم، وبالظبط 4 ليالي وفيهم بتحصل كل البلاوي..
والله الصيادين بقت بتخاف من النيل كله بسببها..
وربنا معاكم يا باشا..
وتخلصونا من اللي بيحصل دة.

هنا تحدث (باسم) بعصبيه قائلا:

- يعني يا حج مطلوب مني أصدق أن فيه جزيرة بتختفي والنار بتولع فيها!
يعني أعمل إيه.. أجيب بخور واطلع أنا والرجالة ونروح نبخر النيل ولا أعمل إيه بالظبط!

وأشار للرجل أن ينصرف قائلا:

- روّح يا حج.. روّح ربنا معاك واحنا هنتصرف إن شاء الله..

ثم طلب من الشاويش أن يحضر له البلاغ الذي قدمه الرجل، وهو ما حدث خلال دقائق وبعدها نظر لي (باسم) قائلا:

- إيه رأيك يا أستاذ.. جريمة قتل في مكان مقفول وبعدها راجل جاي يقول أن فيه جزيرة بتختفي وبتظهر، ولما بتظهر بيكون فيه مصيبة لازم تحصل.. عشان تعرف المعاناة اللي بيعيش فيها رجال الشرطة!

ثم أعاد سؤاله مرة أخرى قائلا:

- ياترى عندك أي تفسير للي بيحصل دا؟

أجبته وأنا أتجول داخل الغرفة:

- أكيد فيه تفسير، بس مش هقدر أحكيه بالكامل لأنه ببساطة تفسير منقوص..
- قول يا سيدي..

قالها (باسم) وهو يرجع بمقعده للخلف..

- من البداية كده أنا مكنتش مصدق كلام السيدة اللي قالت أنها كانت مخطوفة وأنها كانت فاقدة الذاكرة طول السنين اللي فاتت وتحديدا من سنة 1955، وكان فيه سؤال شاغلني جدا: إيه سبب أن الذاكرة رجعت ليها فجأة واشمعني تحديدا الأيام دي؟ ولكن..

واقتربت من مكتب (باسم) قائلا:

- ولكن بسبب شيء حصل عندي في البيت عرفت أن فكرتي أن السيدة دي كاذبة فكرة مش في محلها، بل وأن كل كلامها كان حقيقيا!

وقاطعته بإشارة من يدي قائلا:

- وقبل ما تسألني إيه الشيء اللي حصل عندي في البيت فأنا مش هقدر أجاوبك وصدقني أنت عارف

أنا مش هقدر أجاوبك ليه.. بس المهم أن اللي حصل عندي في البيت كان مؤشر حقيقي أن كلام السيدة اللي اسمها (أمينة) حقيقي..
وأن الست دي فعلا وراها لغز كبير..

هز (باسم) رأسه وأنا اكمل كلامي وقد عدت لأتحرك داخل مكتبه:

- **بعد اللي حصل عندي في البيت أنا نزلت، وبمصادفة غريبة جدا قررت أني أروح لواحد صاحبي بيشتغل في محطة المياه.. معرفش إيه السبب أني فكرت فيه ولكن في النهاية قابلت (أيمن) صاحبي.. وحكيت معاه عن حكاية واحد صاحبي حكهالي عن مكان غريب في النيل أو جزيرة ملعونة..**

(أنا اكذب تماما في تلك النقطة؛ فقد أخبرت (أيمن) بكل شيء منذ طلب (باسم) مساعدتي وحتي لقائي بالسيدة)

ولما سألته كان رده أن فعلا الصيادين بيحكوا عن مكان غريب في النيل بيحصل فيه ظواهر غريبة بس دا بيحصل كل عدد كبير من السنوات يعني مش باستمرار..
والباقي كان كله مجرد أقاويل تكاد تكون أقرب للأساطير!

ومش عاوزك تزعل مني يا (باسم) أنا كنت قررت أبعد عن الموضوع دا تماما.. ودا بسبب الشيء اللي حصل عندي في البيت!
ولكن بعد ما قابلت(أيمن)..
وبعد ما حصلت الجريمة هنا في القسم..
وبعد ما قابلنا شيخ الصيادين اللي كان هنا دلوقتي أقدر أقولك..
إني هكمل بحث..
وهقدر أفهم بالظبط إيه حكاية الجزيرة دي..
وأن غالبا كل الكلام اللي بيتقال عن الجزيرة دي حقيقي ومش ممكن يكون كل دا مجرد أوهام أو أساطير..
مستحيل..
لأن مفيش دخان من غير نار..
الست لو كانت بتكدب يبقي ازاي هنفسر أنها اتقتلت داخل غرفة مغلقة وتحولت إلى أشلاء بالشكل الرهيب اللي شفناه دة..
وشيخ الصيادين مش هيكدب..
واللي (أيمن) حكالي عنه بدون سابق تحضير أو معرفه عن أقاويل الصيادين مش ممكن يكون كدب..

وكل الخيوط دي لو جمعناها مع بعض هتشير إلى أن فيه شيء حقيقي وغريب بيحصل والسبب فيه هو..
الجزيرة دي!
وخليني أوضحلك شيء مهم، أن اللي قتل الست اللي كانت في الحجز مش بشر من الأساس..

هنا قاطعني (باسم) قائلا بسخرية:

- أمال إيه يا أستاذ (نادر).. كائن فضائي؟!

تغيرت ملامحي بسبب أسلوبه الساخر؛ حتى أنه اعتذر بأدبه المعتاد وهو يقول:

- معلش يا (نادر) مقدرتش أمنع نفسي.. بالله عليك كمل!

أجبته بحزم:

- اللي اتسبب في مقتل الست دي شيطان!
أو عشان أكون أكثر دقة:
تابع..
تابع لشيطان من أعتى أنواع الشياطين!

جلست أمامه بعد أن انتهيت من كلامي، وكان هو يقرأ البلاغ الذي قدمه شيخ الصيادين..

ثم قام بتقطيع وريقات المحضر وألقى بها في سلة القمامة وهو يقول:

- أنت عارف يا (نادر) أني باثق فيك..
ودا سبب أني قطعت المحضر اللي قدامي لأن مستحيل حد هيصدق الكلام اللي موجود فيه، وكمان لو الأخبار دي وصلت للصحافة هتكون مشكلة كبيرة!
وعشان أنا باثق فيك أنا طلبت منك تكون معايا في القضية دي من أول لحظة..
صورتك كانت قدامي لأني عارف أن أنت أجدر حد ممكن يفيدني بشكل غير رسمي في القضية دي..
وواضح اني كنت صح..
عرفني بقي أنت ناوي تعمل إيه؟

أجبته بلا تردد:

- كل اللي سمعناه وكل المعلومات اللي قدامنا بتقول أن فيه جزيرة هي السبب في كل اللي بيحصل وأن مع ظهورها بتحصل كوارث.. وعشان نتأكد فلازم نمشي ورا الخيوط دي كلها..

وللأسف كلها بتصب في مكان واحد وهو الجزيرة اللي في مكان جنب (المنيب)، وفيه ناس قالت أنها جنب الساحل في (شبرا) أو تحديدا جنب (جزيرة محمد)، بل وناس قالت أنها جنب (الوراق)..
يعني مفيش مكان محدد بالظبط ليها!
وعشان نعرف الحقيقة، فأنا بنفسي هجنبك كل الإحراج اللي ممكن يحصل لو الموضوع وصل للإعلام أو الصحافة.. وهبدأ بنفسي البحث عنها وأكيد هبلغك لو وصلت لأي معلومة تقدر تفيدنا في تفسير أو حل كل الألغاز اللي بتحصل!

قلت ذلك وغادرت قسم الشرطة محاولا البحث عن تلك الجزيرة الغامضة، ومتناسيا لكل التحذيرات..

بدأت رحلة البحث..

عن (الجزيرة السوداء)!

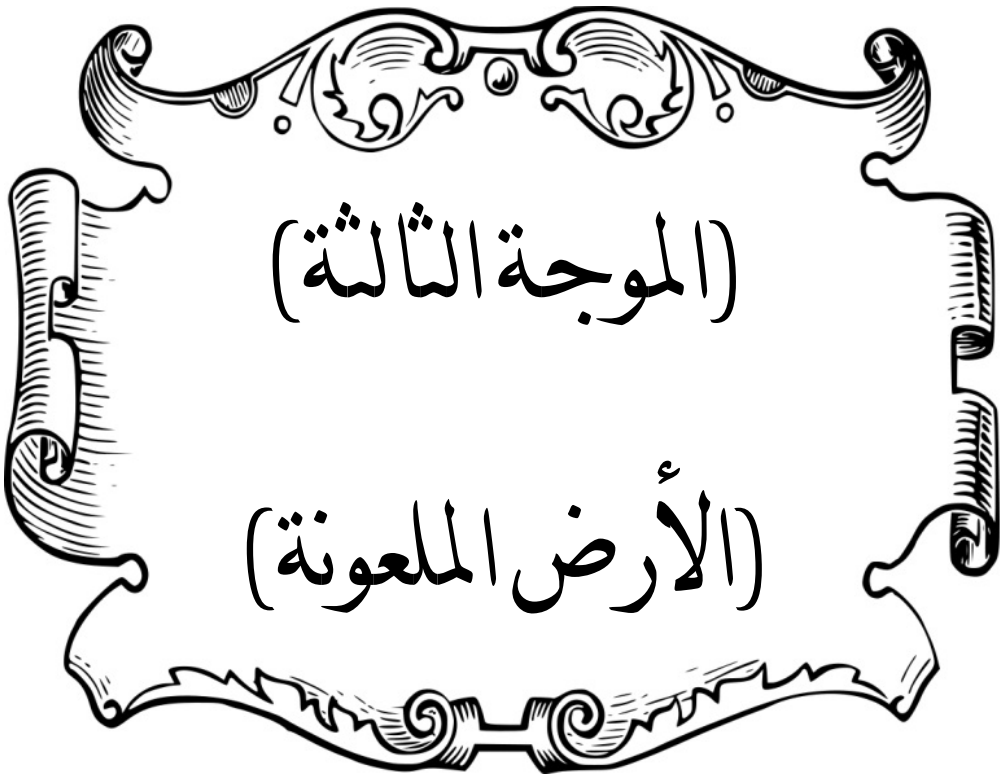
(الموجة الثالثة)
(الأرض الملعونة)

تراجعنا أنا و(ناصر) للخلف من هول المفاجأة

فأمامنا كان يرقد هيكل عظمي مكبل اليدين والرجلين ومن الواضح تماما - من كم الأتربة المغلف بها - أنه هنا منذ فترة طويلة!

خرجت الكلمات مضطربة من (ناصر) وهو يحدق في الهيكل العظمي قائلا:

- **دي إيه المصيبة دي كمان؟ دا أكيد حد قتله واحتفظ بيه هنا..**

وأمسك برسغي بعصبية وهو يقول:

- **أنا قلتلك نمشي من هنا وأنت مصدقتنيش.. اهو اتفضل يا سيدي، لقينا جثة.. ومش بعيد لو حد عرف يتهمونا فيها ويقولوا إننا اللي قتلناه!**

قاطعته وأنا أبعد يده عني قائلا:

- إمسك أعصابك شوية يا (ناصر) واهدى عشان نفهم بالظبط الهيكل العظمي دا بتاع مين وازاي وصل هنا..

لم يتمالك (ناصر) أعصابه وهو يكمل:

- أمسك أعصابي؟
هو أنا بقى فيا أعصاب!
أنت أكيد بتهزر أو شارب حاجة..
فوق يا أستاذ (عمار) وشوف المصيبة اللي هتحصلنا..
يعني أنا سايب البلد وجاي عشان اشتغل ألاقي نفسي حبل المشنقة بيتلف حوالين رقبتي!
لا يا (عمار) لا..
أنا همشي من الجزيرة دي وتغور هي واللي فيها..
والله لو هاخد مال الدنيا كله ما ييجي قدام يوم أكون فيه مسجون..

حاولت أن أقوم بتهدئة (ناصر) وأنا أقترب منه قائلا:

- مسجون إيه وحبس إيه اللي بتتكلم فيه.. يا سيدي متخافش من أي شيء، مانا معاك أهوه، ولو حصلك شيء هيحصلي معاك نفس الشيء..

أرجوك تمالك أعصابك بس لحد ما نفهم بالظبط دا مين وإيه حكايته..

قلت آخر كلماتي وأنا اشير إلى الهيكل العظمي المكبل على الأرض أمامنا..

غادر (ناصر) الغرفة وتركني بمفردي!

الحقيقة أني في حالة تعجب من نفسي..

نعم..

كيف لي أن أكون متماسكا بهذه الكيفية في موقف مريع كالذي نمر به الآن..

لماذا أشعر أن ما أفعله هو واجبي..

وأن هناك دور هام لي في كل ما يحدث..

ولماذا تعتريني حالة فضول شديد للمضي قدما وفهم حقيقة ما يحدث هنا؟!

تركت افكاري جانبا، وجلست على أرضية الغرفة أتطلع إلى الهيكل العظمي..

كان راقدا على الأرض مكبلا تماما و على ملامحه يظهر جليا مقادر هائل من الفزع..

وكأنه مات وهو يصرخ..

التفكير في اللحظات الأخيرة لهذا الرجل جعلتني أشعر بقشعريرة باردة في جسدي..

حاولت أن أحرك الهيكل العظمي برفق لكي أتطلع إلى جانبه الأيسر..

ولكن بمجرد أن لمسته يدي تفككت عظام قفصه الصدري

وخرجت من صدر الهيكل كتل خضراء اللون من شيء يشبة النبات!

كتل كروية في حجم ثمرة البرتقال بلون أخضر قاتم..

أي عبث هذا!

كنت أمسك بتلك الكتل الخضراء محاولا معرفة ماهيتها

ولكنها كانت تتلاشي بين أصابعي وتتحلل إلى مسحوق أخضر كريه الرائحة!

هل هذه الأشياء الخضراء تواجدت في الجثمان بعد تحلله؟

نوع من أنواع العطن مثلا؟

ام أن الأمر أكثر خطورة من ذلك؟!

هنا شعرت بتواجد (ناصر) بجانبي..

قلت له بدون أن أنظر إليه:

- شوف يا (ناصر)..
أنا مش فاهم إيه دة بس لقيت كتل خضراء داخل الهيكل العظمي..

ولكن (ناصر) لم يجبني!

وحينما التفت إليه، كان من يقف بجواري هو:

(متولي)..

حارس المدرسة!

كان (متولي) واقفا بجواري وينقل نظراته بيني وبين الهيكل العظمي.. وبصوت خفيض يملؤه الغضب وضاغطا على كلماته قال:

- ليه فتحتوا الغرفة دي..
ليه؟
أنا قلتلكم بلاش الغرفة دي حد يفتحها لأن اللي فيها ميخصكوش..

في تلك اللحظات كان (ناصر) قد حضر ليقف معنا في الغرفة وهو في حالة ارتباك شديد..

نظر (متولي) إلى (ناصر) قائلا:

- من فضلك اقفل باب البيت اللى بره..
وتعالى عشان فيه كلام مهم لازم تعرفوه..

كانت طريقة (متولي) في الحوار غريبة جدا

لم يعد هو الرجل القروي البسيط الذي قابلناه في أول مرة

وإنما كان شخصية حازمة تتحدث بطريقة مختلفة عما عهدناه!

ووسط دهشتنا من أسلوب (متولي) إلا أن (ناصر) أغلق الباب بالفعل ووقف ثلاثتنا في الغرفة التي وجدنا فيها الهيكل العظمي..

بدأ (متولي) يوجه حديثه إلينا:

- في البداية أنا حذرتكم من عدم فتح الغرفة دي لأن اللي فيها يخص شخص غيركم..
ولكن للأسف محدش منكم سمع الكلام..
وأصبحت مجبر إني أوضحلكم كل شيء..
في البداية أنتم أصبحتم مشاركين في اللي بيحصل على الجزيرة دي من يوم وصلتم ليها..

هنا سأله (ناصر):

- يعني إيه مشاركين؟! ومشاركين في إيه بالظبط؟!

أجابه (متولي) بحدة:

- مشاركين في اللعنة اللي في الجزيرة..
- لعنة إيه؟

كان السؤال مني أنا هذه المرة..

أجابني (متولي):

- لعنة الجزيرة يا أستاذ (عمار)..
- متوضح أكتر يا (متولي) وفهمنا فيه إيه بالظبط..

ابتسم (متولي) وهو يقول بتأثر غريب:

- وبلاش كلمة (متولي) دي كمان..
ياريت تنادوني باسمي اللي بقالي كتير جدا مسمعتوش..

قاطعه (ناصر) متسائلا:

- اسم إيه دة؟

ابتسم (متولي) وهو يقول:

- أنا اسمي (وجيه)..
(وجيه المحمدي)!

** ** **

ووقع الاسم علينا كالقنبلة..

كنا في حالة ذهول مما نسمعه..

و(متولي) الذي اتضح أنه (وجيه المحمدي) يكمل بهدوء:

- **أيوه.. أنا اسمي (وجيه المحمدي)..**
  بس الظروف اضطرتني أني اعيش بإسم (متولي)
  حارس المدرسة الغلبان..

أشرت للهيكل العظمي قائلا:

- **معني كلامك أن اللي قدامنا دا هو (متولي) حارس المدرسة الحقيقي؟**

أومأ (وجيه) برأسه وهو يقول:

- **أيوه.. اللي قدامكم دا هيكل عظمي يخص واحد كان هيتشغل هنا في المدرسةاسمه (متولي الأسيوطي)..**

قال (ناصر) مقاطعا بانفعال:

- **أنا مش فاهم أي شيء من اللي بيتقال دا..**

أشار له (وجيه) أن يصمت وهو يقول:

- أنا هفهمكم كل شيء لأن الوقت مش في صالحنا بس من فضلكم محدش يقاطعني عشان تفهموا اللي هيتقال.. مع أني عارف أنه أعلى من مستوى خيالكم..

قال كلماته وخرجنا من الغرفة..

جلسنا في صالة المنزل..

- في البداية وزي ماقلتلكم من شوية أنا اسمي الحقيقي هو (وجيه المحمدي)..
مهندس..
تم تكليفي برحلة إلى الماضي من أجل محاولة إيقاف كارثة مستقبلية هتؤدي إلى وفاة اكثر من خمسة مليون شخص..
وتحديدا سنة 2145 !

كنا نستمع لكلماته ونحن في حالة ذهول.. وقبل أن يكمل كان لابد أن أقاطعه مرة أخرى قائلا:

- يعني الكلام اللي مكتوب في اليوميات دا كلامك أنت؟

نظر لي (وجيه) وهو يهز رأسة قائلا:

- أيوه كلامي أنا.. ومن فضلكم محدش يقاطعني تاني!
سنة 2145 حصلت كارثة رهيبة محدش كان يتخيلها وهي أن في وسط (القاهرة) ظهرت أرض غريبة.. أرض احتلت مكان مناطق سكنية كاملة!
وبالطبع أودت بحياة أكثر من خمسة مليون مواطن مصري..
يعني تخيلوا معايا أن فجأة تختفي مناطق سكنية فيها ملايين من السكان ويتم طمسها بالكامل وتحل محلها أرض أخرى بمباني جديدة وكائنات شبه بشرية..
أنا عارف أنكم مش متخيلين الموقف..

ومد إيده للأمام قائلا:

- تخيلوا أن دي (القاهرة) بسكانها..

قالها وهو يشير إلى يده اليسري...

- اللي حصل أن فجأة ظهرت أرض أخرى وتواجدت مكان جزء كبير من (القاهرة)

وهنا حرك يده اليمني ووضعها فوق اليسرى وهو يكمل:

- تخيلوا أن دا حصل وكتله هائلة احتلت مكان (القاهرة)..

فاهمين مقدار الكارثة اللي حصلت؟!
ببساطة شديدة خسرنا خمسة مليون مواطن
مصري في غمضة عين!
بالإضافة إلى طمس كل مظاهر الحياة في منطقة
الحادثة من مباني وبشر..
كانت كارثة رهيبة..
خسارتنا فيها كانت لا تعوض..
في غمضة عين اختفت مناطق من (القاهرة) وظهر
مكانها في البداية ضباب..
ضباب غريب أحاط بالمنطقة كلها..
في البداية الخبراء اعتقدوا أنه خلل في المناخ، وفيه
منهم اللي قال أن دي بداية حرب من دولة معادية
باستخدام أجهزة متقدمة..
وفي نفس الوقت كان العلماء بيحاولوا يدرسوا اللي
بيحصل..
وخلال ساعات بدأ الضباب ينقشع، عشان تظهر
أرض جديدة بمباني مختلفة..
فورا تم إخلاء باقي سكان (القاهرة) عشان نقدر نفهم
بالظبط إيه تفسير ظهور أرض مكان أرض؟
كانت ظاهرة غامضة..
وغريبة..

محدش كان لاقي ليها تفسير!
بس اللي اتأكدنا منه أن الأرض الجديدة اللي ظهرت دي كانت بدون أي مظاهر حضارية..
يعني مفيش أي وسائل اتصال..
ولا أي علامات تشير إلى استخدامهم لأي نوع من التكنولوجيا..
وقبل أي تحرك حقيقي من العلماء لمحاولة فهم حقيقة الأرض الجديدة دي، وبشكل مفاجيء أحاط بيها الضباب من كل جانب للمرة التانية..
واختفت!
اختفت بنفس سرعة ظهورها!
ومع اختفاء الأرض دي ظهرت حجم الكارثة اللي بقولكم عليها!
ملايين البشر ومناطق كاملة اختفت في غمضة عين!
وبدأ العلماء في دراسة الأمر بشكل مفصل..
بدأوا يدرسوه وكلهم خوف أن دا يتكرر تاني..
بس كان السؤال الأهم:
ازاي كتلة هائلة بالحجم الرهيب دا تنتقل وتظهر في (القاهرة) ثم تختفي تاني!
وليه دا حصل من الأساس؟
ومين المسئول عنه؟

وبدأت الأبحاث العلمية السرية تحصل في (مصر) عشان نقدر نحدد بالظبط سبب الكارثة!
ولمدة شهرين بدأت النظريات العلمية تخرج من علمائنا المصريين..
وتحديدا كانت الجهة المسئولة عن تفسير ما حدث هي: (هيئة الفضاء والعلوم المصرية)!
وخرجت تفسيرات كتير عن حقيقة الأرض دي، لحد ما في يوم توصل عالم مصري اسمه (سالم فخري) إلى حقيقة ما حدث، وأن تفسير ما حدث يفوق الجانب العلمي المتعارف عليه، وإنما يتطرق إلى نوع من التكنولوجيا المجهولة وهي لا تنتمي إلى البشر..
وكان كلامه صادم للجميع، لدرجة أن فيه ناس اعتقدت أن الرجل فقد عقله!
ولكن دكتور (سالم فخري) كان واثق في كلامه؛ فهو أول عالم على مستوى العالم ينجح في تطبيق نظرية التفكك الجزيئي والانتقال الآني..
ومن خلال دراسة مستفيضة وتتبع لخرائط الشذوذ الزمني قدر أنه يوصل لتطابق بين مساحة الكارثة اللي حصلت وبين مساحة مكان مشابه اتكلم عنه بعض العلماء في نهاية القرن العشرين..

ورغم عبقرية الرجل ولكنه كان عاجز عن التوصل للسبب الحقيقي للحادثة..
وهنا بدأ يتعاون مع عدد آخر من العلماء والباحثين في التاريـخ المصري القديم، ومن خلال وثائق تاريخية اكتشف أن المكان اللي اتسبب في الكارثة دي هو في الأساس رض اطلق عليها في الماضي اسم (الأرض السوداء) أو (الجزيرة السوداء)..
أرض اللي متواجدين عليها فصيل غريب من الكائنات الشبه بشرية..

كنت على وشك أن أقاطعه ولكنه أكمل وهو يشير لي أن أنتظر..

- كانت الفكرة صعبة التصديق وكتير من العلماء رفضوا مجرد مناقشتها..
ولكن دكتور (سالم) فجر مفاجأة صادمة للجميع وهو أن الأرض السوداء دي وغيرها من الأراضي اللي بتختلف في المساحات موجودة على مستوى العالم.
واستشهد بالفجوة اللي حصلت في (النرويـج) سنة 2050 واللي ظهرت بشكل مفاجيء في منطقة زراعية..

واستشهد كمان بفجوة تم رصدها بصحراء (ناميبيا) وقدر وقت حدوثها أنه كان سنة 1844
وأن الظهور المفاجيء للأراضي دي كمان حصل قبل كده في المحيط الهادي سنة 2015 وظهرت على شكل جزيرة أطلقوا عليها (أونغا)، ووقتها العلماء اعتقدوا أن سبب ظهور الجزيرة هو ثوران بركان مخفي..
وطبعا التفسير دة اللي خرجت بيه في وقتها كانت وكالة (ناسا) قبل إغلاقها بسبب الديون وبسبب كذبها على العالم في العديد من القضايا وأشهرها قضية رحلات كوكب (المشترى)..
وبعد الوصول إلى التفسير لحقيقة ظهور الاراضي أو الجزر الغريبة دي، وبعد مرور عدة أشهر وفي اجتماع هام ظهرت فكرة غريبة جدا طرحها عالم مصري اسمه: (توفيق مهران)، وهي استخدام تكنولوجيا الانتقال الآني وإحداث معبر زمني أو ممر زمني يسمح بإرسال فرقة بحث علمية لمعرفة الأسباب الحقيقية لتنقل هذة الجزيرة أو (الأرض السوداء) زي ماقلتلكم من شوية..
وبإبداع علمي حقيقي نجح الدكتور (توفيق) بمساعدة فريقه العلمي في الحصول على البصمة

الزمنية لـ(الأرض السوداء) وتحديد أماكن تواجدها عبر العصور..
ولكن ظلت مشكلة وحيدة، وهي أن التكنولوجيا المتوفرة في زمنا كانت بتسمح بارسال شخص واحد فقط..
كبسولة زمنية واحدة لشخص واحد في رحلة عبر العصور لمحاولة كشف حقيقة وأسباب تنقل (الأرض السوداء)..
كانت رحلة إلى المجهول بشكل واضح..
وخصوصا أن الشخص اللي هيقوم بالرحلة دي هيتنقل عبر أكثر من حقبة زمنية باستخدام البصمة الزمنية المسجلة لـ(الأرض السوداء)..
ولأن الموضوع كان بيتم في سرية تامة وبعد أخذ الموافقة من مؤسسة الرئاسة تقدم عدد من ال أفرادالعاملين في هيئة الفضاء المصرية متطوعين للقيام بهذه المهمة..
وكنت أنا منهم..
وبالفعل تم اختياري للقيام بهذه المهمة مجهولة العواقب..
وبدأت أدرس التاريخ القديم وتحديدا الأوقات اللي هتواجد فيها على الجزيرة

من ملابس وطريقة حياة وخصوصا أنها هتكون بالنسبة ليا حياة بدائية تماما..
وبدأ العلماء يحددوا الشخصيات اللي هنتحلها في تواجدي في كل حقبة زمنية..
وأثناء التدريبات جالي استدعاء رسمي من الإدارة العليا.
وبالفعل توجهت إلى هناك وشاهدت أمامي عرض (تصور بلازمي) كامل لرحلتي عبر العصور.. والتصور البلازمي دا شبه أفلام السينما كده ولكنه مجسم وحقيقي من خلال تكوينات بلازمية..
وكنت فاكر أن الاستدعاء من أجل مراجعة خطوات الرحلة والقفزات الزمنية..
ولكني فوجئت بمهمة جديدة، وهي محاولة البحث عن المسبب الحقيقي لما يحدث في الجزيرة ومحاولة ايقافه، ومنع حدوث الكارثة التي حدثت في (القاهرة) من الأساس.. ولو لم اتمكن من إيقاف المسبب الرئيسي لتنقل الجزيرة هيكون عليا إني أقوم بتفجيرها بكل ما فيها ومن فيها..
مصلحة المستقبل تقتضي تضحيات من الماضي!

وبالفعل اتحركت بالكبسولة الزمنية الخاصة بيا ووصلت للجزيرة وقمت بإخفاء متعلقاتي ومن ضمنها قنبلة شديدة التدمير..
هتكون الاختيار الأخير ليا في حالة عدم نجاحي في إفساد المسبب والمحرك الأساسي للجزيرة..
ووصلت الجزيرة سنة 1955 ..
انتحلت صفة طبيب؛ لأن دة كان أكتر تخصص هيفيدني في دراسة سكان الجزيرة ومحاولة فهم حقيقة ما يحدث..
وكانت الصدمة بالنسبة ليا..
التكوين الجسماني لأهل الجزيرة مشابة للتكوين البشري، ولكن مع اختلافات غريبة..
منها عدد فقرات العمود الفقرى مثلا!
في البشر الطبيعيين هي 33 فقرة، أما هنا فكانت 39!
وفصائل الدم المتعارف عليها في البشر غير موجودة في سكان الجزيرة، وإنما الحقيقة أن لديهم نوع من الفصائل تميل أكثر إلى الزواحف يعني فصائل دم متعددة من عشرة أنواع..

دا غير اختلافات كتيرة كانت موجودة في سكان الجزيرة الأصليين وليس الوافدين عليهم زي حضراتكم كده..

وبدأت أدرس أهل الجزيرة وطريقة معيشتهم وصفاتهم، وفي نفس الوقت أنا كنت ماشي على خريطة زمنية محددة بتوقيتات لازم ألتزم بيها..

بس كنت بواجه مشكلة غريبة..

وهي الوهن الشديد والنزف المستمر!

حاولت استخدم مجموعة من الأدوية اللي جبتها معايا من المستقبل، ولكن الموضوع كان بيزيد..

وفي الوقت دا اكتشفت الاكتشاف المذهل!

اكتشفت أن الجزيرة - فعليا - ليها خط زمني مغاير للخط الزمني المتعارف عليه واللي درسته قبل القيام بالرحلة..

يعني ببساطة أنا كان محدد ليا موعد القفزات الزمنية، والمفروض أن الموعد بيكون في منتهى الدقة، ولكن للأسف لما تواجدت على أرض الجزيرة فوجئت بحدوث شيء اسمه (التشوه الزمني)..

يعني أن الجزيرة بتقفز قفزات زمنية ومكانية بشكل غير مستقر وغير محدد، وكأن فيه شخص أو عدة أشخاص هم المسئولين عنه..

ومن خلال الأجهزه اللي معايا قدرت احدد مصدر التحكم في الجزيرة وتنقلها..

في الوقت دة اتحرك (وجيه) وأشار لينا أننا نتحرك وندخل الغرفة اللي فيها الخرائط والهيكل العظمي..

أكمل كلامه وهو يشرح الخرائط المرسومة على الحوائط:

- زي ما انتوا شايفين..
الخريطة الأولى بتوضح أن مصدر كل اللي بيحصل على الجزيرة موجود أسفل مكان في الجزيرة بيطلق عليه اهل الجزيرة اسم: (قصر الباشا)..
وتحديدا أسفل قصر الباشا بما يعادل خمس طوابق..
أما الخريطة الثانية اللي قدامكم..

وانتقل إلى الحائط الآخر وهو يكمل شرحه:

- فدي الخريطة اللي بتوضح الأماكن اللي بيتعبّد فيها أهل الجزيرة.

هنا قاطعته متسائلا:

- يعني إيه (بيتعبدوا فيها) دي؟

أجابني وهو يشير إلى خمس نقاط على الحائط:

- يعني ببساطة شديدة أهل الجزيرة هنا ليهم مراسم تعبد غريبة شوية ومختلفة..
مراسم تعبد تشبه إلى حد كبير مراسم تعبد الشياطين في فترة السبعينات من القرن اللي عايشين فيه حاليا..
مع الفارق أن أهل الجزيرة معندهمش وعي أو إدراك كافي بالسنة اللي عايشين فيها!
- مستحيل..

قالها (ناصر) بمنتهي الانفعال وهو يركل بقدمه الحائط المواجه له قائلا:

- أنا مش ممكن أصدق التخاريف اللي بتحكيها دي..
مش ممكن أصدق أي حرف من الكلام اللي بتقولوه دة!
شياطين إيه وزواحف إيه وسفر عبر الزمن.. أنت أكيد مجنون..

وأشار (ناصر) لي بعصبية وهو يصرخ قائلا:

- وأنت كمان يا (عمار)..
أنت كمان بدأت تتجنن زيه بالظبط..

أنا مش هكمل معاكم التخاريف دي وهلم هدومي وهمشي!

ضحك (وجيه) قائلا:

- أنت فاكر أنك تقدر تسيب الجزيرة بالسهولة دي! ياريت دا كان ينفع، كنت أنا نفسي عملته من زمان بس للأسف الشديد..
دخولكم الجزيرة أو دخول أي وافد كأنك بتقطع تذكرة ذهاب بدون عودة.

صرخ به (ناصر) قائلا:

- بلاش تخاريف وحياة أبوك وكفاية خيال علمي بقى..

وتركنا (ناصر) بالفعل وهو يقوم بجمع ملابسه ومتعلقاته،

هنا تدخل (وجيه) بنبرة حاول جاهدا أن تكون هادئة وهو يوجه كلامه لـ(ناصر) قائلا:

- أرجوك.. أرجوك يا (ناصر) اسمعني، أنت مستحيل تغادر الجزيرة إلا في حالة واحدة..

نظر له (ناصر) قائلا:

- وإيه هي الحالة دي بقي إن شاء الله؟

أجابه (وجيه):

- الحالة دي هي أننا نوقف اللي بيحصل فيها ونمنع أنها تتنقل من مكان لمكان!

في اللحظه دي بس هنقدر كلنا نسيب الجحيم دة..

افهموني أرجوكم..

اللي بيدخل الجزيرة دي بيكون فعليا مرتبط بيها بشكل غريب، ومبيقدرش يبعد عنها لأكتر من دقايق وبعدها بيموت!

وحتى فكرة الهروب منها والمجازفة بحياتك دي مش بتحصل إلا في أوقات محددة وهي الأوقات اللي بيحصل فيها حالة الاهتزاز الزمني.. أو ببساطة تنقل الجزيرة من مكان لآخر..

حاولوا أنكوا تثقوا فيا شوية..

أنا مكدبتش عليكم في أي شيء وصارحتكم بالحقيقة..

الحقيقة اللي بقالي سنين مش قادر ولا لاقي حد أقدر احكيهاله..

أنتوا فعليا لسه محتفظين بجانب بشري كبير..

والجزيرة تأثيرها عليكم ضعيف، ويمكن ربنا بعتكم ليا عشان تساعدوني في إيقاف الكارثة اللي هتسببها الجزيرة دي مستقبلا..

هنا توقفت للحظه مع كلمة أننا محتفظين بجانب بشري كبير وسألته عن معناها؛ فأجابني (وجيه) قائلا:

- يعني ببساطة اللي بيتواجد في الجزيرة دي بتتغير صفاته وبيبدأ يشوف أمور غريبة وبيصاب بهلاوس وتشنجات، ثم نزف لحد ما يتحول بشكل كامل عشان يبقي زي أهل الجزيرة الأصليين..

هنا تذكرت ما حدث مع (ناصر) من حالة غريبة من قبل ووقتها اعتقدت أنه قد تعرض لمس أو سحر ما..

وذكرت لـ(وجيه) ما حدث لـ(ناصر)..

وبدا الهلع بوضوح على ملامح (ناصر) وهو يقول:

- يعني معنى الكلام اللي بتقولوه دة يا (عمار) إني.. بدأت فعلا أكون شبه أهل الجزيرة؟

أجابه (وجيه) بدلا مني وهو يقول بأسف:

- أيوه أنت بدأت تفقد صفاتك البشرية.. ومتسألنيش دا ليه حصل معاك ومحصلش مع (عمار) صاحبك

لأن واضح أن تأثير الجزيرة على الأشخاص بيختلف من شخص إلى آخر..

ثم جلس (وجيه) على الأرض وهو يخرج بعض الأوراق قائلا:

- أنا كتبت كل دا هنا، وكتبت جزء كبير في دفتر يومياتي..
أنا كمان كتبت أن: واضح أن فيه غاز معين في الجزيرة دي هو المسبب الرئيسي لتحول الناس اللي بيوصلوا للجزيرة وفقدانهم لصفاتهم البشرية..

ثم أشار إلى وريقات صفراء اللون وهو يكمل قائلا:

- كل شيء أنا كتبته ونفذت كل اللي طلبوه مني وخلصت مهمتي بشكل كبير..
ولما حاولت أرجع للزمن بتاعي بكل أسف تعطل أحد أجهزة الكبسولة الزمنية وفشلت في إصلاحه بكل الطرق..
أصبحت سجين هذا الزمن..
وسجين الجزيرة الملعونة دي!
انتظرت أن يتم إرسال أي مساعدة ليا أو حد ينقذني لأني كنت فقدت أي وسيلة تواصل بيني وبين زمني

الحقيقي، ودا بسبب حاجز غريب بيحيط بالجزيرة ولكن دا محصلش...

ثم صرخ وهو يكرر كلماته ويلقي بالأوراق على الأرض:

- للأسف محصلش..

ثم أكمل (وجيه) وهو في حالة هياج شديد:

- ولما فكرت عرفت السبب..

عرفت أنهم مستحيل يوصلولي هنا لأن – ببساطة - الجزيرة بتتنقل بشكل غير منتظم من مكان لآخر..
يعني الخريطة الزمنية اللي كنت متخيل أنها حقيقية والعلماء في زمننا اعتقدوا أنها حقيقية مكانتش صح إلا في أول مخطط زمني بس..
اللي كان سنة 1955 ..
أما الباقي فهو غير متوقع!
ولما التزمت بالمهمة وقفزت القفزة اللي بعدها لقيت نفسي في توقيت غير التوقيت اللي تخيلته..
لقيت نفسي سنة 1979 !
عشر سنين كاملين متأخر عن المخطط اللي كان ممكن حد ينجدني فيه..

واتكتب عليا أعيش هنا في زمن غير زمني مع ناس غريبة ومش قادر أنقذ نفسي ولا أنقذ مستقبلي!

قال آخر كلماته ثم بدأ ينزف من أنفه بغزارة وهو يقول:

- وهي دي النتيجة اللي وصلتلها..
أن وفاتي أصبحت أمر محتوم..
شخص غريب عايش مع ناس غريبة وهيتوفي بطريقة أغرب..
و على فكرة أنا جسمي بيقاوم بقاله سنين..
يمكن بسبب نوع من الأمصال اللي حصلت عليها في المستقبل!
أما بالنسبة للأشخاص الطبيعيين فبيكون التأثير خلال فترات أقل من دي بكتير..

أحضرت له منديلا قماشيا حتى يقوم بتجفيف الدماء التي تسيل منه في غزاره.. وحينما نظرت إلى (ناصر)، كان في حالة يرثى لها وله كل الحق..

جلست في ركن الغرفة وأنا أحاول اقناع عقلي بأن كل ما سمعته من (وجيه) هو حقيقة!

وأنني لا أهذي أو أتخيل!

إن ما يحكيه (وجيه) صعب التصديق، بل وصعب التخيل!

هل الأقدار رتبت كل شيء حتى نصل إلى ذلك المكان الملعون؟

أنا أؤمن تماما أن الله يرتب كل شيء وأني هنا لسبب ما..
ولكن ما الذي يجب علي أن أقوم به؟!

وهنا - وبشكل غريب - سألت (وجيه):

- ممكن تفهمني ازاي أنت بتقول أن محدش يقدر يخرج من الجزيرة في الوقت اللي أنت كنت بتشتري لينا طلبات من البر التاني؟

هنا نظر لي (وجيه) بنفاذ صبر قائلا:

- أنا كنت عارف أن فيه أمور كتير هتكون صعبة الفهم بالنسبة ليكم..
ولكني هجاوبك ببساطة..
الخروج من الجزيرة عبارة عن محاولة انتحار حقيقية!
أنا كنت مضطر أني اتحمل الخروج من الجزيرة والعوده ليها، ولكن دا لازم يكون خلال ساعة فقط زي ما قلتلك من شوية..

فيه شيء بيربط أهل الجزيرة الحقيقيين والوافدين بأرضها، وفكرت أن دة ممكن يكون في طبيعة الهواء الموجود فيها أو المياه اللي بنشربها..

بادره (ناصر) بسؤال آخر قائلا:

- طب وبالنسبة لزوجتك وابنك إيه مصيرهم؟

أجاب بحزن:

- مصيرهم زي مصير أهل الجزيرة..
زوجتي من الأساس كانت من البر التاني وحظها الأسود أنها وصلت هنا في ظروف غريبة..
أما الطفل دا..
مش ابني من الأساس!

سألتة بتعجب:

- يعني إيه مش ابنك؟

أجابني وهو يفتح صندوقا خشبيا في ركن الغرفة:

- النساء في الجزيرة هنا بيحملوا من شيء مجهول ومش عن طريق علاقة حقيقية!

ثم أكمل:

- أنا كتبت دة هنا..
كتبت كل شيء ممكن تتخيلوه عشان يكون دليل يمكن حد يستفاد بيه مستقبلا..
السيدات هنا في الجزيرة في يوم محدد في الشهر بيتم جمع من بلغ منهن في سن الواحد وعشرين وبيتم تلقيحهم بشكل صناعي في مكان ما تحت (قصر الباشا)، وهو يعتبر نفس المكان المسئول عن كل اللي بيحصل في الجزيرة..
عارف أن الفكره مجنونه بالنسبة ليكم وليكم كل الحق متصدقوش.. ولكن واضح أنهم بيحافظوا على النسل الخاص بيهم أو يمكن لسبب اخر أنا نفسي مش عارفه!

قاطعت (وجيه) مرة اخري وأنا أسأله بخبث:

- بس أنا قرأت المذكرات بتاعتك اللي حكيت فيها عن علاقة حصلت بينك وبين سيدة من أهل الجزيرة وأنك كنت مجبر على التخلص منها لأن دة فيه خطر شديد على المستقبل..
ازاي عملت دة وفي نفس الوقت قررت انك تتجوز وكان فيه إمكانية كمان أن زوجتك تحمل منك..

كان الحزن باديا على ملامح (وجيه) وهو يقول:

- غلطة عمري كانت مع بنت جميلة من الجزيرة اسمها (أمنية)..
البنت دي فعلا أنا مقدرتش أقاوم جمالها ولا ذكائها..
كانت مختلفة في كل شيء..
كنت حاسس أنها مختلفة عن أهل الجزيرة..
كانت غلطتي أن حصل بينا علاقة وكان مصيرها أني أتخلص منها..
ولكن قبل ما أتخلص منها، أنا حكيتلها حكايتي..
وقبل ماتسأل ليه حكيتلها..
هجاوبك..
لأني كنت محتاج أي شخص أحكيله وإلا كنت هتجنن.. وأنا حكيتلها لما كنت مقرر إني اتخلص منها..
يبقي مفيش أي خوف من دة!
أما بالنسبة لزوجتي الحالية، زي م حكيتلك أنا عايش هنا على أني (متولي) البواب، ولازم يكون ليا أسرة..

هنا قاطعة (ناصر) قائلا:

- طب وليه أهل الجزيرة محاولوش يتخلصوا منك؟
بما أنك مش منهم..
أو بمعني أصح، إزاي مكتشفوش اختلافك عنهم؟

هنا أجاب (وجيه) قائلا:

- دي نقطة شغلت بالي كتير جدا.. وفكرت فيها سنين طويلة لأني كنت كل يوم بتخيل أنهم هيقتلوني..
بس أنا توقعت أن دة بسبب اختلاف الحقبة الزمنية اللي أنا جاي منها..
أو بسبب التطعيمات اللي خدناها في زمني..
أو بسبب النبتة!
دي كانت كل تصوراتي بالنسبة للموضوع دة..

هنا نهضت من مكاني قائلا:

- كل دا جميل جدا وأنا مصدقك..
حاليا إيه المطلوب مننا بالظبط عشان نسيب المكان دا؟

أجابني (وجيه) وهو يقوم بإخراج أوراق أخرى قائلا:

- المطلوب مننا هو أننا نروح لـ(قصر الباشا) ونحاول نفهم إيه اللي بيحصل فيه بالظبط..

- وأنت ليه محاولتش تعمل دة طوال السنين اللي فاتت؟

قالها (ناصر) بعصبية.. وأجابه (وجيه) قائلا:

- لأني أضعف من أني أدخل المكان دة لوحدي، خصوصا بعد قفزاتي الزمنية اللي فعليا قضت على صحتي تماما..
ولولا بعض التركيبات البسيطة اللي متبقية معايا واللي قدرت أني أصنعها هنا بأدوات بسيطة كان زماني فارقت الحياة من زمان..
وكمان لأن أهل البلد بيراقبوا المكان دا بحراسة مشددة، فلازم نرسم خطة لدخول القصر..
- وياتري إيه الخطة اللي عندك؟

قلتها متسائلا.. وبدأ (وجيه) يشرح لنا كيفية اقتحام القصر، وكيف سوف نتحرك باتجاهه بدون أن يلاحظ أي من أهل القرية أي حركة غريبة..

وبينما يشرح لنا (وجيه) تفاصيل الخطة شعرنا جميعا باهتزاز كل شيء من حولنا..

استمرت تلك الهزة لنصف دقيقة كاملة وسط حالة من الذعر من أن ينهار المنزل علينا..

وبعد أن عاد كل شيء لطبيعتة قال (وجيه):

- **هذا هو ما أخبرتكم به..**
  الجزيرة تتنقل بشكل غير متوقع من مكان لآخر..
  بل ومن زمن لآخر..

هنا صرخ فيه (ناصر) قائلا:

- **أرجوك ارحمني.. يعني أنت عاوز تقول دلوقت أن الزمن خارج الجزيرة غير الزمن داخل الجزيرة!**
  إيه التخاريف دي!

ضحك (وجيه) بسخريه قائلا:

- **الزمن نسبي بالنسبة للجماد والحيوانات والبشر وتأثيره عليك يختلف عن تأثيرة على أهل الجزيرة، ومتنساش أنهم مش بشر زينا وعندهم صفات مختلفة تماما، واللي بيحصل هنا صعب عليا أني أشرحه لأنه مرتبط بنظريات مستقبلية لم يتم التوصل ليها بالنسبة لزمنكم حتى الآن..**
  ولكن ثقوا فيا!
  أنا عاوز أنهي مهمتي وأنقذ ملايين البشر من مصير رهيب..

هنا كان لابد لي من أن أقاطعه قائلا:

- تنقذ ملايين البشر في المستقبل ودا ممكن يحصل زي مانت قلت من شوية حتى لو تطلب الأمر تفجير الجزيرة ومن فيها صح؟

أجابني (وجيه):

- صح.. لو تطلب الأمر فهيكون لازم أدمر الجزيرة دي..
- طب واحنا؟ والناس اللي هنا على الجزيرة؟!

صرخ به (وجيه) وهو يقول:

- دول مش بشر.. والله العظيم مش بشر.. دول شيء تاني!

ثم تعثرت الكلمات في حلقة وهو يقول:

- دول كائنات شبه البشر عايشة بشكل طفيلي على البشر الحقيقيين، ومن الأساس هم كأنهم في غيبوبة ومش مدركين أي شيء عن اللي بيحصل خارج الجزيرة..
بالنسبة للعالم الجزيرة فعليا مش موجودة..
زيها زي مئات الأماكن المجهولة والغريبة حول العالم..
ولكن هنا إحنا قدام شر..

شر مطلق حقيقي..
شر لا بد أن نخلص العالم منه..

بدأت نبراتة تتسم بجدية شديدة وهو يقول:

- ركزوا معايا من فضلكم.. الهزة اللي حصلت من شويه دي معناها أن أهل الجزيرة لازم يتجمعوا أسفل القصر خلال 24 ساعة، دة أنا لاحظتة طول فترة تواجدي هنا.. بيتجمعوا ليه أنا معرفش، بس اللي أنا واثق منه هو أن التجمع بيحصل في أوقات محددة للجميع وخصوصا بعد حدوث الهزات..
دا بخلاف معلومة مهمه ليكم، أن أهل الجزيرة بيذهبوا للقصر بشكل شبه يومي.. كل واحد فيهم لما بيوصل لسن البلوغ لازم يبدأ التواجد في القصر وتحديدا بيدخلوا اسفل القصر من سرداب خشبي موجود على الجزيرة..
أتوقع أن دة نوع من العبادات أو أنهم بيحصلوا على شيء ضروري وهام بالنسبة ليهم..
والشيء دا هو سبب ذهابهم بصفة دورية أسفل القصر!
وعشان نقدر ندخل بسهولة لازم نكون زييهم..

سألتة باستغراب:

- يعني إيه نكون زيهم دي؟

أجابني (وجيه) وهو يجلس على الأرض ويحرك بلاطة من مكانها ويخرج منها شيئا ملفوفا بقطعة قماشية بالية، ثم ينزع القطعة القماشية لتظهر قنينة زجاجية تحتوي على ما يشبة بذور قاتمة اللون ويضعها أمام أعيننا قائلا:

- هنكون زيهم بالنبات دة! دي نبتة غريبة اكتشفت أنها متواجده في أجسام سكان الجزيرة وبتنمو داخل أجسامهم!
درستها بعناية في فترة تواجدي الأولى هنا أثناء انتحالي لصفة طبيب..
والحقيقة أن النبتة دي صفاتها غريبة جدا لأنها بتمتلك سلوك يشبة سلوك الطفيليات وبيكون الكائن الحي هو العائل بالنسبة ليها..
ولأني كنت مهتم بقراءة التاريـخ كويس جدا فالنبتة دي سبق وأن ظهرت من قبل بنفس الشكل دا في القرن الرابع عشر فيما أطلق عليه وقتها (مخطوطة فوينيتش)..
العجيب أن اهل الجزيرة بتنمو داخلهم النبتة دي وبتكون كأنها مصدر الحياة بالنسبة ليهم.. وليها

مكان مخصص في الجزيرة بيتم إنتاجها، وأنا نجحت إني أحصل على كمية من بذورها..
ودة يمكن يكون من ضمن الأسباب اللي ساعدتني إني أتعايش معاهم كأني واحد منهم.

هنا نظرت له بشك متسائلا:

- معني كلامك أن النبتة الشيطانية دي موجودة في جسمك حاليا؟

أجابني وهو يفتح القنينة الزجاجية ويخرج بعضا مما داخلها قائلا:

- بالظبط كدة!
عشان أقدر أكون زيهم كان لازم النبتة دي تكون داخل جسمي زي ما هي هتكون داخل أجسامكم..
- مستحيل!

قالها (ناصر) وهو يقذف القنينة من يد (وجيه) لتسقط على الأرض وتتناثر البذور حولها..

و(وجيه) يصرخ به وهو يجمع البذور مرة أخرى قائلا:

- هو دا السلاح اللي ممكن نستخدمه عشان ندخل مكانهم!

البذور دي مش هيكون ليها أي ضرر حقيقي عليكم صدقوني.. وحتى ولو ليها ضرر فممكن نتخلص منها بمجرد خروجنا من المكان الملعون دة!

كان يقول كل ذلك بأنفاس لاهثة وهو يجمع البذور الجافة..

في نفس اللحظه بدأت الأرض تهتز من حولنا بقوة أكثر هذه المرة..

و(وجيه) يقول لنا بعصبية شديدة:

- كل شيء هيتغير دلوقتي..
معني حدوث هزة أخرى أننا لازم نتوجه للقصر الآن!

وبمنتهي العنف صرخ فينا:

- الاهتزاز الثاني دا نادر الحدوث ولكن معناه أن أهل الجزيرة هيتجمعوا بعد دقائق في القصر..
وهي دي فرصتنا أننا ندخل معاهم صدقوني..

كان الرجل على وشك الانهيار وهو يقول:

- ارجوكم ساعدوني وساعدوا نفسكم..

خدوا البذور دي لأنها هتساعدنا أننا ندخل بدون أي شك فينا..
مفيش وقت ولا مجال للتفكير.. زي ماعرفتكم قبل كدة المكان دة بيتحرك بشكل غير متوقع، ودي فرصتنا أننا ندخل ونفهم كل اللي بيحصل..

كان عقلي يرفض استيعاب كل ما يحدث..

كل ما قيل يبدو وكأنه درب من دروب الخيال.. ولكن إصرار الرجل وخوفه وتحذيراته جعلتني ألتقط منه أحد تلك البذور وابتلعتها بقليل من المياه! وبعد ضغط شديد على (ناصر) فعل المثل وهو يوجه السباب لـ(وجيه) ولي وللجزيرة ولكل الكوكب..

وقبل أن أتحرك من مكاني بدأت أشعر بآلام رهيبة في صدري!

آلام مصحوبة بصداع قاتل!

وبين الحالتين كانت تترائى أمامي صور غريبة.. صور لأقوام بهيئات شبه بشرية يقفون في صفوف، ونباتات غريبة تتلوى مثل الأفاعي، وأمام النباتات كانت تقف كائنات ضخمة!

كائنات هي مزيج من البشر والسحالي!

أو لأكون اكثر دقة، هي سحالي تقف منتصبة بجسد عملاق وعضلات بارزة!

وأمام تلك السحالي يقف جثمان هائل الحجم بقرون ملتويه وجسد أحمر بلون الدم، والجميع يركع أمامه في خشوع..

الأمر كان اشبه بشريط فيديو يتم عرضه أمامي!

كائنات تشبه البشر عارية تماما وعظامهم بارزة ورؤوسهم صلعاء، والجميع راكع في خشوع أمام ذلك الكيان الجهنمي..

هنا عدت إلى وعيي مرة أخرى، وأنا أقول برعب:

- أنا شفتهم.. شفتهم..

وخلال لحظات كان (ناصر) يتلوى على الأرض يحدث معه نفس ما حدث لي.. و(وجيه) يحاول تهدئتنا قائلا:

- دا رد فعل طبيعي لدخول النبات دا لجسمكم.. متخافوش.. كل دا بينتهي خلال دقائق!

كنت في حالة ذهول مما شاهدته منذ لحظات..

غير مصدق أن تأثير النبات على عقلي سوف يؤدي إلى رؤية تلك المشاهدات!

كان (ناصر) يتلوى على الأرض ويسعل بقوة، ومن فمه كان يخرج سائل أخضر قانٍ!

وحينما نظرت إلى (وجيه) لاحظت ارتباكة الشديد مما يحدث لـ(ناصر)، وبسرعة كان (وجيه) يحضر زجاجة ويقترب من (ناصر) ويفرغ محتوى الزجاجة في فمه

ويغلق بيده فم (ناصر) وهو يطلب مني أن أساعده في تحجيم حركات (ناصر) الهيستيرية..

وبالفعل بعد مرور دقائق كان (ناصر) قد بدأ يستعير حالتة الطبيعية..

استمر في السعال للحظات ثم نظر لنا وهو يقول بوهن:

- انتوا مش عارفين أنا شفت إيه.. أنا كنت كأني بحلم

أجبته وأنا أربت على كتفه:

- متقلقش، أنا كمان عشت نفس التجربة دي وشوفت حاجات عجيبة..

كان (ناصر) يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يقول:

- نباتات غريبة وسحالي كبيرة واقفة وشياطين والعياذ بالله.. والله يا (عمار) أنا شفت شياطين واقفة

وناس شبه البشر بيسجدوا تحت أرجلهم، ونباتات بتتحرك وكأنها فيها الروح..
مش مصدق.. أنا أكيد بهلوس..
أكيد النباتات دي فيها نوع من المخدر!

كان (ناصر) يقول كل ذلك وبعدها وضع رأسه بين راحتيه وصمت..

(وجيه) كان يقف بجوارنا وساد صمت تام لدقائق قطعه (وجيه) قائلا:

- زي ماشوفتوا دا تأثير دخول النبات للجسم البشري، والمشاهدات اللي قدامكم دي هي ذاكرة انتقلت ليكم من النبات لأن زي ماقلتلكم صفات النبات دا غريبة وغالبا هو بيحتفظ بذاكرة محدودة تشبه الذاكرة البشرية..
ولازم تكونوا عارفين أني مريت بنفس المشاهدات دي وأكتر منها طوال السنين اللي فاتت..
عموما مش وقت الكلام دا دلوقت..
انتظروني هنا أنا هدخل لزوجتي وابني وهرجعلكم تاني..

سألته قبل أن يغادر:

- ليه هتدخل لأسرتك دلوقتي؟

أجابني بتأثر حقيقي:

- اعتبرني هودعهم!

قالها وانصرف..

جلست أنا و(ناصر) بدون أن نتبادل أي حرف، فلم يكن لدينا القدرة بعد ما سمعناه ومررننا به أن نقول أي شيء..

هل ما أخبرنا به (وجيه) حقيقي؟

هل من الممكن أن يكون كل ما مر بنا هو كابوس وسوف نستيقظ منه بعد دقائق؟!

للأسف كنت اتمني هذا..

وكم كنت أتمنى ألا اغادر قريتي من الأساس..

هل سوف أقابل والدي ووالدتي مرة أخرى؟

أتمنى ذلك..

كانت كل الأسئلة والأفكار تدور في رأسي وأنا أتحرك وبجواري (ناصر) و(وجيه)..

الساعة تشير بوضوح إلى الثانية صباحا..

متوجهين إلى أساس كل شرور الجزيرة..

قاصدين وجهة لا يعلم أي منا هل سوف نعود منها أحياء أم أننا سوف نكون مجرد ضحايا جدد يتم إضافة أسماءهم إلى قائمة من لقوا حتفهم بسبب تلك الجزيرة..

** ** **

الهدوء يخيم على كل شيء..

وبجوارنا كان اهل القريه يتقدمون بهدوء شديد ناحية القصر..

كنا نسير خلف ثلاثة رجال وامرأة..

مسيرة استمرت لحوالي ربع ساعة..

دخلنا خلالها لمنطقة زراعية على أطراف الجزيرة

وحينما نظرت للمياه لم أشاهد أي شيء..

كانت الجزيرة مغلفة بضباب لونه مزيج من الأخضر والقرمزي..

(ناصر) يمسك بيدي في خوف وهو يقول:

- **أنا مرعوب يا (عمار)، لو حصلي حاجة وصيتك أمي وأخواتي..**

قمت بالضغط على يده قائلا:

- متخافش يا (ناصر)، هنخرج من هنا وإن شاء الله كل شيء هينتهي..

(وجيه) بدأ يتقدمنا بخطوات قليلة وهو يقول بصوت خفيض:

- دة المكان اللي حكيتلكم عليه اللي أهل الجزيرة بيدخلوا منه تحت الأرض..

هندخل عادي جدا ومحدش منكم ينطق بأي حرف..

هنا انتبهت لشيء هام.. أين القنبلة التي تحدث عنها (وجيه) وقال أنها الحل الأخير الذي سوف يستخدمه لتدمير الجزيرة؟

وقبل أن أسأله بدأ يظهر أمامنا عدد من الرجال ضخام البنية يقفون أمام كل من يقترب مما يشبه بابٍ لسرداب..

ويتأملون أوجه كل القادمين..

ولأن (وجيه) كان يتقدمنا فقد دخل مباشرة واختفى داخل القبو..

(ناصر) يمسك بيدي وأشعر بارتعاشة يده وبرودتها

ونقترب سويا من هؤلاء الحراس..

وبمجرد اقترابنا تقدمت أنا للأمام لأجد أحد الحراس يبتسم لي نصف ابتسامة ثم يتنحى جانبا ليسمح لي ومن بعدي (ناصر) بالعبور..

كان السرداب يهبط بنا لأسفل ويزداد اتساعا كلما توغلنا بداخله..

أصوات غريبة يصدرها أهل الجزيرة وكأنها همهمات غير مفهومة..

والجميع في مسيرة طويلة..

(وجيه) ظهر أمامنا وسط الجموع الغفيرة واقترب منا

وأكملنا المسيرة سويا..

الحالة العامة لأهل الجزيرة السائرين بجوارنا تشبه من يسير وهو نائم أو من هو تحت تأثير مخدر ما..

هنا بدأ السرداب يتسع أكثر وأكثر ليظهر لنا عدد من الممرات المضاءة بإضاءات غريبة تصدر من أركان السرداب الصخرية..

اقترب منا (وجيه) وهو يقول:

- سوف ندخل من الممر القادم.. تحركوا معي بهدوء

وبالفعل تحركنا خلف (وجيه) الذي دخل في أحد الممرات..

كان المكان عبارة عن بهو كبير بإضاءة خافتة، وفي أركانه تماثيل هائلة الحجم..

(وجيه) يتقدمنا بحذر وهو يتلفت حوله ويهمس قائلا:

- لازم نحاول ننزل أكتر تحت الأرض.. السر كله تحت الأرض!

قالها وهو يدلف إلى ممر آخر ولكنه فجأة أشار لنا أن نختبيء؛ فقد سمعنا خطوات ثقيلة قادمة باتجاهنا.. توارينا بالفعل والتصقنا بالحائط الصخري، ولكن كان بإمكاننا مشاهدة مصدر الخطوات..

وأمامنا كان يتحرك جسد هائل الحجم!

جسد لشيء أقل ما يقال عنه أنه مسخ يناهز المترين طولا!

مسخ شيطاني دميم يتحرك بخطوات ثقيلة..

نظرت لـ(ناصر) فوجدته يضع يده على فمه محاولا منع نفسه من التفوه بأي كلمة أو صرخة مفاجئة..

وله كل الحق في ذلك!

فما كنا نشاهده كان أمرا لا يمكن تصديقه ولا حتى تخيله في أسوأ كوابيسنا..

أما (وجيه) فكان متماسكا، بل لأكون أكثر دقة فقد كان أكثرنا تماسكا!

وبعد أن اختفى أثر ذلك الكائن اقترب منا (وجيه) قائلا:

- **أعتقد أنكم صدقتوني في كل ما أخبرتكم به..**

قالها وهو يتحرك ونحن من خلفه..

- **هنموت هنا يا (عمار) صدقني هنموت هنا..**
- **اهدأ يا (ناصر).. أهدأ بالله عليك..**

كنت اقول تلك الكلمات لـ(ناصر) وأنا ازداد يقينا أننا بالفعل لن ننجوا من ذلك المكان!

قادنا (وجيه) إلى درجات هبطت بنا إلى الأسفل، وبدأنا نشعر ببرودة المكان من حولنا..

ولكننا كنا نهبط أكثر وأكثر..

حتى وصلنا إلى غرفة متوسطة الحجم وبها عدد من التوابيت!

نعم..

كانت الغرفة تحتوي على عدد من التوابيت ولكنها لم تكن خشبية كما عهدناها، وإنما كانت توابيت من معدن لامع!

تحسستها بيدي وكانت باردة للغاية!

أي عبث هذا!

وفي تلك اللحظة سمعنا أصوات خطوات قادمة باتجاهنا،

وبسرعة أخبرنا (وجيه) أن يختبيء كل منا في تابوت!

حاولنا أن نرفض ولكن الأصوات القادمة باتجاهنا كانت تتعالى، وبالفعل لم يكن أمامنا أي مكان آخر سوى التوابيت لنختبيء بها..

وقف (وجيه) أمامنا وفتح أحد التوابيت ودفع بداخله (ناصر)..كانت عيناه تتحركان في المكان بشكل عجيب..

وكذلك فتح (وجيه) تابوتا آخرا لي وهو يقول:

- **يلا يا (عمار) مفيش وقت..**

وبالفعل دخلت للتابوت وأغلقه (وجيه) بمجرد دخولي..

وبعد لحظات سمعت صوت شيء آخر يغلق.. بالتأكيد هو التابوت الثالث وقد دخله (وجيه)!

بعد لحظات كنا نسمع الكثير من الخطوات من حولنا..

قلبي يكاد يتوقف من الخوف..

أصوات تتعالى، ولكني لم أستطع تمييز ما يقال..

هم بالتاكيد يبحثون عنا..

من المؤكد أنهم اكتشفوا أمرنا..

نهايتنا قادمة لا محالة..

الأصوات تتعالى!

وبدأ التابوت يهتز للحظة ثم بدأت أشعر به يتحرك،

وهنا كان لابد لي من أن أحاول الخروج بأي ثمن..

حاولت أن أقوم بفتح التابوت..

ولكنه كان مغلقا!

حاولت مرة ومرة..

كل محاولاتي باءت بالفشل..

التابوت كان مغلقا بشكل يستحيل معه أن يفتح من الداخل..

الأصوات تتعالى من حولنا بشكل رهيب..

ثم بدأ غاز ما يتسرب داخل التابوت..

حاولت جاهدا أن أمنع نفسي من استنشاقه ولكني لم أستطع..

بمجرد استنشاق ذلك الغاز بدأ الخدر يغزو أطرافي..

بدأت أشعر بحركة غريبة في صدري استمرت لثوان ثم انتهت!

عقلي في حالة استرخاء غريب..

أشعر وكأني أحلق في السماء..

شعور تام بالهدوء والراحة النفسية..

حتى حينما توقفت حركة التابوت وقام عدد من الأشخاص بفتحه من الخارج وساعدوني أن أقف على قدمي..

كنت أقف في حالة من السعادة الغامرة..

إحساس من الصعب أن أقوم بوصفه، ولكنه..

سعادة وهدوء لا مثيل لهما!

أقف محاولا السيطرة على رأسي التي تترنح..

يقف بجواري (ناصر) في نفس حالتي..

ونظرت إلى الخلف لأجد المئات من الرجال والنساء بملامح شبه بشرية..

يقف أمامهم عدد من كائنات هي أقرب للمسوخ..

الجميع ينظرون بهيبة إلى ذلك الكائن الذي يقف أمام الجميع على ما يشبه المنصة..

كائن شيطاني بتكوين هو مزيـج بين الشياطين والبشر، يتحدث بلغة غريبة والجميع يردد من خلفه بكلمات اكثر غرابة!

يقترب منا أحد تلك المسوخ ويدفعنا للأمام أنا و(ناصر)

ويقترب منا ذلك الكائن الشيطاني بخطوات هادئة ثم ينظر

بجانبه ليظهر (وجيه)!

يظهر وهو مبتسم ويسجد على الأرض ويقبل قدم ذلك الكائن!

ثم يتراجع ليقف في الخلف!

اقترب منا الكائن أكثر وأكثر وهو يقول بلغة عربية واضحة:

- أحسنت يا (وجيه).. لقد نفذت كل ما طلب منك.. لقد أحضرت لنا ما كنا نبتغيه.. لقد كان من المهم أن يزداد رسلنا في جميع الأنحاء..
وقد كنا في انتظار القادمين الجدد وفي انتظار إثبات ولاءك لي..

كنت أستمع إلى ما يقال وأنا عقلي شبه مخدر وغير قادر على استيعاب أي شيء مما يحدث حولي..

والكائن يكمل وهو يقترب مني ويضع يده على رأسي:

- ولتكن مشيئتي وليصبحوا مثلكم!

وأمسك بشعر رأسي بقوة رهيبة بيديه الضخمتين وبدأ في انتزاع فروة رأسي التي استجابت ليديه في سهولة.. ومعها كان باقي جسدي يرتجف..

وحينما نظرت إلى قدمي كان الجلد المحيط بها يتشقق بشكل سريع والكائن يسحب جلدي بأكمله إلى الأعلى ليحدث انسلاخ لكامل جلدي!

واقف بدون أي إحساس بالألم، بل وبدون نقطة دماء واحدة..

وبمجرد أن انتزع الكائن جلدي بالكامل وقف أمام الجميع وهو يلوح به للأ على قائلا:

- إن أجسادكم ملكي.. الروح قد ذهبت وأنا لي الباقي!

تحرك ناحية (ناصر) وقام بسلخ جلده بالكامل عن جسده وسط صياح وتهليل الجموع المحيطة بنا..

هنا - ورغم حالة اللا شعور التي أمر بها - نظرت إلى جسدي لأجده محاطا بطبقة خضراء قانية اللون!

أشعر بسعادة غير مبررة..

كأني قد تحررت من عبء كان يجثم على صدري لسنوات

والكائن يتراجع للخلف وهو يقول:

- إن الهدف والغاية منكما قادمان لا محالة..

وأشار إلى (وجيه) الذي كان يبتسم ابتسامة شيطانية قائلا:

- وها قد تأكدتم مما سوف يحدث مستقبلا لمن ظلوا بشرا كما هم ولديكم الدليل.. أما نحن فسوف نكمل نهجنا ونكمل ما خُلقنا من أجله..
ولتكن لنا السيطرة على كل شيء في القريب..
نحن الجنود..
جنود من يستحق الأرض ومن عليها!

نحن الفيالق المختارة..
خط الدفاع الأول في الحرب القادمة..
ولتعلموا جميعا أننا لسنا إلا جزءً من كيان هائل
ينتشر حول هذا العالم والعوالم الأخرى..
وكلما جنّدنا أفرادا أخرى كلما ازداد رضاه علينا
وانهمرت هداياه..
نظل خارج حدود الزمان والمكان بانتظار إشارة
مولانا وقائدنا..

ومن أمامه كان يهتف الجميع:

- **(نيروخ)..**
- **(نيروخ)..**
- **(نيروخ)..**

والكائن يكرر بصوت هائل:

- **مولانا..**
  وقائدنا..

والجموع تردد من خلفه:

- **(نيروخ)..**
- **(نيروخ)..**

بعد فتره من الوقت كان الجلد قد نما على جسدي مرة أخرى..

جلد شاحب رقيق..

كما بدأت تبرز عظام جسدي بشكل واضح..

وبداخلي كان شعور عظيم بالراحة..

لقد خُلقت لأكون هذا الشيء الحالي..

لم أُخلق لكي أكون مجرد بشر تافه بلا هدف..

وأنا راضٍ تماما بما أصبحت عليه..

** ** **

في كل ليلة كنا نلتقي أسفل قصر الباشا..

نتلقى جرعتنا من الإكسير..

الإكسير الذي ينمّي بداخلنا ذلك الكائن الإلهي العظيم..

الذي وضع بذرته الأساسية (وجيه) الذي آمن مثلنا بأن الأمر أكبر من كونه مسافرا عبر الزمن هدفه تحوّل من إفناء الجزيرة إلى عبادتها وعبادة ملكها!

كنت أشعر بنمو البذور بجسدي وأنا في منتهى السعادة..

(الكيندرا) هي ناقل حقيقي للوعي الشيطاني، وهي طريقنا للتواصل مع مولانا..

ننفذ أوامره أيا كانت بانتظار اليوم الموعود الذي سوف نسيطر فيه على كل شبر في هذا العالم..

ويوما بعد يوم كنت أتلقى تعاليما جديدة وخططا جديدة..

وفي يوم صدرت القرارات لنا بأن نتوسع ونجتاح الأرض ونضم لنا ملايين من البشر..

والبداية كانت بظهور الجزيرة لكل البشر..

مع نشر (الكيندرا) بين القادمين الجدد..

وهنيئا لهم بانضمامهم لنا..

وهنيئا لنا بخطواتنا الثابتة للسيطرة على كل شيء!

**** ** ****

- **تحب نكمل ولا نرجع للمرسى تاني يا عم (نادر).. صدقني مفيش هنا ولا جزيرة ولا أي شيء من اللي أنت بتحكي فيه دة!**

قالها (وائل حارس) - وهو يمتلك بعض المراكب الشراعية بكورنيش النيل..

صديق قديم تذكرته في تلك الليلة بعد مرور سبعة أيام قضيتها في الفراش بعدما تعرضت لمرض مفاجيء، وحينما استعدت قوتي قررت أن أكمل ما وعدت به صديقي المقدم (باسم الحمامصي)..

لقد وعدته أن أحاول حل لغز تلك الجزيرة ومقتل السيدة

وبالفعل كنت في المركب الشراعي ومعي (وائل) الذي أقنعته أن هناك جزيرة وأنا أبحث عنها..

ربما اعتقدني مجنونا ولكنه تقاضى مني مبلغا من المال كان كفيلا بأن يوافق على القيام بتلك الرحلة..

أربع ساعات مرت علينا ونحن نبحث دون جدوى..

وفي النهاية قررنا العودة إلى المرسى مرة أخرى..

ولكن قبل أن يستدير القارب وقف (وائل) في ذهول وهو يقاول:

- إيه دة!

أمامنا، ومن العدم ظهرت كتلة هائلة من الضباب!

حاول (وائل) أن يبتعد عنها وهو يستعيذ بالله من الشيطان، ولكني طلبت منه أن ينتظر لدقائق..

وأمام أعيننا الذاهلة، ومن العدم ومع انقشاع الضباب بدأت تظهر أرض شاسعة بمبانيها!

وبجوارها، وأمامنا مباشرة ظهر بوضوح مرسى خشبي عتيق..

ابتسمت وأنا انظر لـ(وائل) الذي كان في حالة ذهول مما حدث..

- وصّلني المرسى دا يا (وائل) وارجع أنت.

قلتها وأنا لا أعلم صحة هذا القرار..

قلتها وأنا مدفوع بشغف لا نهائي من أجل أن أفهم حقيقة ما يحدث في تلك الجزيرة..

حاول (وائل) أن يثنيني عن قراري ويحذرني من النزول بمفردي ليلا إلى تلك الجزيرة الغريبة..

ولكني كنت ألبّي النداء الغامض بدخول تلك الجزيرة ومعرفة حقيقة ما يحدث بها..

متجاهلا لكل التحذيرات وصلت للجزيرة!

وقفت على المرسى الخشبي المتهالك..

(وائل) كان يغادر بمركبه الشراعي مسرعا، على وعد بأن يعود لي في التاسعة صباحا..

محملا بكم هائل من الفضول دخلت إلى الجزيرة محاولا كشف حقيقة ما يحدث في تلك الأرض الغريبة..

إن للفضول ثمن باهظ يا عزيزي..

واعتقد أني جدير بدفعه!

** ** **

نهاية الجزء الأول.

إلى اللقاء مع الجزء الثاني!

** ** **

الإهداء:

إلى نصفي الحلو..
إلى سندي في الحياة..

د . آمال حسين

على دعمك اللا نهائي..
وعلى وجودك بجواري..
دمتِ دوما السند والحياة..
شكرا لكونك أنتِ..

** ** **

في قطار الحياة نتوقف طويلا عند محطات حزينة..

ووفاتكما كانت من المحطات التي لم أكن أتمنى أبدا أن أقف عندها..

أهدي الرواية إلى روح صديقيَّ:

- حسام عبد الفتاح طلعت.
- طارق عبد الرحيم همام.

عسى الله أن يجمعنا بكم في الجنة.

سلامٌ إلى روحكما الغاليتين..